T.B.M.M
DDC:
YER: 74-1990
YIL:
CLT:
KSM:
KOP:
DEM: 74-3847
KÜTÜPHANESİ

كتاب

روح الحكمة

تأليف حضرة قطب فلك العلوم * وشمس سماء المنطوق
والمفهوم * الحائز للشرفين * والطائر الصيت في
الخافقين * صاحب السيادة والسماحة والمفاخر
والرجاحة * مولانا السيد محمد ابي الهدى
أفندي الصيادي الرفاعي الخالدي
لا زال يقلد الانام بدرر
فضائله * ويتحف الأيام
بغرر فواضله
آمين

حقوق الطبع محفوظه للمؤلف

طبع بمطبعة علي أحمد سكر بشارع محمد علي بمصر
سنة ١٣٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى . وسلام على عباده الذين اصطفى . ﴿ أما بعد ﴾ فيقول المتوكل على الله في كل الشؤن والدواعي . محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي . كان الله له . وغفر بكرمه وفضله زلله آمين . هذا كتاب سميته ﴿ روح الحكمة ﴾ يعرف مضامينه أولو الكمال والعرفان . ويأنس به أرباب الذوق والوجدان . والله المستعان . ﴿ الحكمة صناعية ونظرية وروحية ﴾ فالصناعية علاقتها بالكثائف . والنظرية تصلح الكثائف وترجع الى اللطائف والروحية لا تتعلق الا باللطائف . فالكثائف عبارة عن المركبات من المواد . أو المفردات منها سواء كانت تلك في العالم الأعلى أو في العالم الأدنى . واللطائف عبارة عن المواد اللطيفة . التي دقت عن الكثافة . فبقيت لطفا مجرداً . واكثرها في العالم الأعلى . والروحيات عبارة عن المعاني التي تساق من برزخ الروح الى العقل والفكر والخيال والحافظة والمدبرة وتسقط الى القلب من حضرة غير معينة وتهبط الى الفكر لا عن قصد ولا عن هم وجزم وتمر بالخاطر وتتدلى الى السر وتجول في الضمير وتسامر العقل . وأشرف أقسام الحكمة . القسم المعنوي الذي هو عبارة عن المعاني التي هي

سلطان الحكم في العقل والقلب والخاطر . فالمعاني تنسج من أساليب متعددة وتتسلط على شؤنات كثيرة . وفي الحقيقة لولا المعاني لما هذبت المواد . لان الهمم هزتها معنوية . فاذا هزها المعنى الكمين تسلطت على المادة . ففعلت فيها ما برز عن المعنى من القصد أو الدلالة أو الاشارة أو الشأن المدبر وغير ذلك . ومن هذا المعنى قول القائل . همم الرجال تقلع الجبال . واحتفالاً بشأن القسم المعنوي . عقدت له هذا الكتاب . وخصصته بأشرف الأنواع وهو الانسان وتدبر أيها المحب قول الامام عليّ المرتضى كرم الله وجهه في الانسان .

دواؤك فيك وما تبصر وداؤك منك وما تشعر

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

الانسان انتظم وجوده من ماء وطين . وقام من مادة اللقاح النوعي . المستحصلة بنتيجة من اجتماع ذكر وأنثى . من النوع الانساني . فالماء أخذ حكمه . والطين أخذ حكمه . فانتسق في الانسان مادة لطيفة ومادة كثيفه . وتفرع عن كل مادة من المادتين ما يلائمها ويوافق حكم النسج لاستكمال طراز الهيكل بكل معنى يليق له من لطف وكثافة . فلما تلجاج بالروح وأخذته بجاذبتها فاعطته الحركة وانطبع من اشراق الروح في الهيكل ما يليق لكل جزء من أجزائه . فالمستكمل الانطباع المستمد كل الاستمداد من اشراق الروح . هو الانسان الكامل وكمال المرء ونقصانه بنسبة سهم ذاك الانطباع وكل بارقة عقلية وسانحة شريفة قلبية ونكتة خاطرية ورأي سديد وحفظ صحيح وخيال نقي وفكر سليم وعزم جليل وهمة رفيعة وتدبير حسن ينشأ

عنه عمل يصلح أمر الانسان أو يتعدى لصلاح أمر النوع . فهو من كمال ذلك الانطباع . فاذا خلص الانطباع واعتدلت به الطباع . وكان الوجود صحيح الاجزاء وأجزاءه جميلة التركيب حسنة الانتساق قوية المادة لم يصبها خلل مضر بجزء منها . فذلك الوجود اذن الوجود المليح أو الوجود الجميل أو الوجود القوي الصحيح . والطباع المطوية فيه هي الطباع الشريفة . ويعبر عنها بالخلق الحسن والخصال الحميدة والخلال الكريمة . ومع هذا فالآثار اللطيفة الناشئة عن انطباع اشراق الروح . كالعقل وغيره . مما سبق ذكره . ان كانت عظيمة الحظ من الانطباع . لا يؤثر فيها الخلل المضر ببعض أجزاء الوجود اذا طرأ عليها . الا انها قليلة الحظ من الانطباع تمحق بالخلل . أو تكاد ولا بد أن يؤثر فيها ذلك بنقص عظيم فليتدبر وان أجزاء الوجود اذا لم تستكمل حظها من انطباع الاشراق الروحي الذي يعطى لكل أثر لطيف حظه الكامل فانها تنعكس عليها آثار ظلمة طبع الوجود الكثيف الذي ينتج تركيبه الغضب والحرص والطمع والشره والشهوة الصارعة . وحب الشبع وجمع الحطام والتفوق بغير حق والحسد والكبر والكذب . وسوء النية للمخلوقين . واضمار الاذية للنوع وعدم الرحمة والشفقة وكثرة الحيلة والدسيسة والخدعة والميل لاجل الغرض مع كل ناعق . والانصراف عن الحق الى الباطل . وعدم قبول الحق لطرح الانصاف حرصا على الغرض وتحريف الحقائق والنفرة من الاخيار والتقرب من الاشرار والترفع بغير حق ومجانسة كل وضيع في طبعه خامل في طوره ومباينة كل بر حسن المنهاج . طيب الخلق والحال وغير ذلك . وتلك بنسبة نقصان انطباع ذلك

الاشراق الروحي . وقبول الآثار ضياءه المشرق عليها من سماء الروح . ولما كان جدنا الذي استنار به مجدنا . مولانا السيد أحمد الرفاعي الحسيني . طيب الله شريف مرقده من أجل الحكماء الاسلاميين . بل هو واسطة عقدهم . وله في هذا الباب الذي أغفلته اليوم الأمة . عقود كلمات كلهن كالآيات البينات . أردت أن أزين كتابي بنقلها . ليثبت بالدليل المدلول . ولتنتظم الفروع بشرف الأصول . قال لا زال فضله . يطلب وينال . أيها الانسان . بأي شيء تروم اقامة الدليل لعقلك . على واحدية مولاك وأحديته وهذا وجودك القائم بك معك . آية فيك تكفيك . يدق عرقك من كلياتك . ويسري دمك من جزئياتك . ويدور بريد التدبير . في ذراتك وكل نقطة من دمك في محلها مع اتحاد نوعها . مختلفة الصفة . وكل نثرة من بللك . مع وحدة عينيتها . مضادة أختها في نسقها . نثرة بلل ريقك غير نثرة بلل عينك . نثرة رشح عرقك . غير نثرة رشح أذنك . صماخ أنفك غير صماخ ابطك . منبت شعرك . كل مغرس منه . مع وفاق الشكل . مختلف في النسج والمثل . هبطات فكرك في صحف قلبك . غير ما أسقته الى حافظتك . غذاؤك جدلك . في منافس وجودك أنواعاً . حالة كونه نوعاً واحداً . لا تقل منوع العينيات . ولذلك اختلفت مجدولاته . لو كان كذلك لاختل النظام بنسبة اختلاف الاغذية . عظمك في مواطن منك . تختلف عوارضه ونتائجه . وجلدك حالة كونه ظرفك . ناصعة مادته بمظروفه . على دقائق نسجه . وفيه من غرائب النظم الخلقي . مالو جرد عن المظروف . ونشر على آلة كشافة . لأعي فهمك . عن الوصول لحقيقة ظاهرة لما فيه .

من افتاق النسج القائمة بسلامتك . المناسبة لنظام وجودك هذه الافتاق . منها ماتدركه لوذكرته لك . ماشاء الله كان . أي آدمي . فتق أنفك . اعطاك الشم . وفتق أذنيك . أعطاك السمع . وفتك فمك . أعطاك فى لفيفة مجموعه الطعم . وفتق عينيك أعطاك البصر . وهذا جلدك فيه أفتاق كثيرة . ألوف مؤلفة . تأخذ الهواء . وتدفع الابخره وتجمع الخصلات المجتمعة . من الهواء والابخرة . فتوقفها على منصة الاعتدال . ضمن دائرة تركيبك زبدة دماغك فيها عاقلتك ومفكرتك . زبدة ساقك فيها قوة اعتدالك . زبدة صلبك فيها نقطة قوي هيكلك . زبدة معدتك فيها طرق معابرك . لوزة قلبك فيها قوة فهمك . وقبلة تلقيك وساحة نظرك . واستدلالك المتصلة الحبل . ببرزخ دماغك * ذوائب عروقك كنباتات الاكوان * بقعة رأسك الناهضة * بقبة وجهك كالسماء * فيها درج شعرك * كالأطلس البحت * فيها سطح جبينك كخط الفلك * فيها مقلتاك كالكواكب * فيها جلدة خديك كاملس الرواق المقوم * فيها تركيب أضراسك في فمك كنظام الابراج فى معاريج خطوطها * فيها نبات وجهك * كمنثور لواقح الابخره المخضلة المتدلية الى مركز السكون تقف وتحرك بنسبة مواردها كشأن نبات شعر وجهك * وصلة رأسك بواسطة عنقك بهيئة وجودك كاتصال العالم العلوي بالأرض بواسطة حبال الاصطدام وذوائب الشعاع وخيوط الكواكب * دورة رأسك مع بسط ساحة صدرك كلف العالمين بطوري كنيتهما لفاً لا يمس حكم البسط لينك * حتى تصل يدك رجلك * وبعضك بعضك * كانطباق هذه المشاهد العلية * والوضيعة ببعضها انطباقاً مساسياً لا يدخل مادة بأختها

أيها الانسان أنت مجمع هذه الغرائب * أنت كنز هـذه العجائب * أنت نسخة هذه المضامين * أنت نقطة هذا التعيين * أنت حضرة هذا المشهد الاقدس * أنت محل نظر السر الاخفى * ومعنى القصد الانفس * أعرفت نفسك * أين أنت * من معرفتها * أنت شيء حارت به الاشياء * أنت مادة أنبجست من جزئها كليات الاجزاء * أبعد ان قمت كما كنت وعجزت عن أن تعرف ما أنت * وقيدت عن تدبيرك وحرت في تصويرك * تروم أي مسكين على من صورك دليلا وتطلب لمعرفته قيلا * أيقظ عينك من سنة غفلتك * يا عليل العقل يا كليل الفهم يا سقيم الرأي * تكفره للدنيا * وبك أقام عليك الدليل انتهى كلامه العالي * ومن نسق هذا الكلام البديع يفهم شأن طراز الوجود الآدمي * ولزوم عدم نسيان الصانع * وان اختلفت المذاهب وتلونت المشارب * وفي سر الكلمات الحكمية الأحمدية * دقائق تنبلج عن معان عجيبة يعرفها أهلها * وهي غير خافية على أربابها فنسق الوجود اذا انتظم على نمط لطيف وطرز صحيح وصح مع حسن التركيب المزاج * وحسنت الخلال والفعال قام من حكم الصنع في النوع مناد معنوي * يقول بلسان الحال ان فلانا أعني ذلك الوجود المنوه عليـه * هو من كمل النوع الانساني يعمل برأيه وينتفع من صحبته ويقوم من حكم مظهريته نفع متعد لابناء جنسه * كما يكون منه النفع الكامل لنفسه * والعكس بالعكس * قال حكيم العارفين * مولانا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه * الأشياء تنتهي الى أصول تخمرها وتطبـع بها * وتلك الأصول الى أصول أخر * وتلك الى معادنها * فاذا انتهى كل شيء الى خميرته * وكل خميرة الى معدنها * وكل

معدن الى لباب عينية وجوده وقف بطبعه * فخفته من كل جهاته سلطنة الخالق الصانع القديم * فرجع يتسلسل متناهياً * وتناهي يتنزل راجعا من غايته الى بدايته * قائلا لسان حاله في كل نهضة وسقطة (هو الذي صوركم فاحسن صوركم) وهذا النسق الجليل تشهد به طبائع الأشياء ويدرك هذا السر المغلق * الآدميون أهل العقل الكريم والقلب السليم * والا فالذين لا عقول لهم * ولا قلوب من عصابة البشر * فهم فى عمى الجهل * الانسان يشتمل على عالمين * عالم الهيكل * وهو الجسم المحسوس المشهود * وعالم السر * وهو مجتمع من العقل والروح * فعالم الهيكل سفلي * يتعلق به ما سفل من الفروع اللازمة به * القائمة معه * وعالم السر علوي يتعلق به ما علا من الفروع الصالحة له المشاكلة لحاله * فالجسم يتعلق به الطعام والشراب وعلائقهما وما ينظم حاله من لباس وظلال ومنام وشهوة وراحة * وفي كل من هذه الأحوال * أحوال تدل على سفله * والعقل والروح يتعلق بهما المعرفة والعلم * والترقي الى الحضرات المقدسة * والوصول الى حقائق الاشياء * وفي كلها أسرار تدل على علو العقل والروح * الا أن فروع نور العقل * لا تجتمع الى أصلها الذي هو العقل * الا بمشهودات يغترف معناها البصر * الى ساحة العقل * فيدفعها الى بحبوحة الفكرة * ويأخذ منها ما يطابق عاقلة العقل من النتيجة * أو بمسموعات يغترفها السمع * فيلقيها في حضيرة الخيال * ويقابلها بمرآة الفكرة * ويتسلق الى ما تخيل لها الخيال فيسقط عليه عين الفهم * فيراه بها ويأخذ منه النتيجة * وأما فروع نور لروح * فهي غنية عن الاستعانة بالشهود لترفعها عن ذلك * ولكنها تطمس

بحجاب الوجود * فاذا رفع السالك عنها الحجاب بالرياضة * تلقى نورها الالهي المنكشف القلب * فابصر به وتفرس بانصباب القلب * من مركز حضرته المتسلقة الى نور الروح المطلقة من قيد حجاب الوجود * فنظر حقائق الأشياء . (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) . وهذا الشأن يترقى الى منابر الصديقين * ويكشف شراع الملك والملكوت * ويرفع بردة قعر البهموت * ويفلت عقد أدوار الارضين * لكن اذا غلب الهيكل الجسماني بالرياضة الصالحة الشرعية ومزق حجابه وفتح من المغلاق الصارف للروح عن مقامها العلوي أرصاده وأبوابه * فهنا لك يحسب في أعداد المقربين * بنسبة اضمحلال الحجاب المذكور واطلاق ذلك النور * وأما اذا طمس ذلك النور بحجاب الوجود * سلبت فكرة العقل بظاهر ذلك الهيكل المشهود * فهنا لك يحسب صاحب ذلك الشأن من المبعدين * وينحط عن منزلة القرب * بنسبة غلظة حجابه حتى ينتهي الى أسفل سافلين * انتهى كلام الامام الرفاعي * ومن رقائق أسرار الوجود * شؤنات طراز الهيكل * واكثرها في الوجه ومشتملاته ولفة الرأس ومحتوياته والعنق ومضموناته * غيران أعظم الاساليب في الوجه * الذي هو طليعة المواجهة فرجل تراه فينعكس من طراز وجهه اليك مهابة * وآخر تراه ينعكس لك منه محبة * وآخر اذا رأيته كرهته * وآخر اذا رأيته أحببت التباعد عنه * وآخر أحببت القرب منه * ومنهم من اذا رأيته أطمعك طرازه ببره * ومنهم من اذا رأيته أخافك طرازه من شره * وهلم جرا * وتارة يوجد في الطراز من المحاسن * مايمحي بشيء من الفم * أو في قبة الرأس * أو في خيط العنق * فانك تحب الرجل

لطراز وجهه * ثم اذا جربته أظهرت لك الرقائق المطوية في فمه * أو في رأسه أو في خيط عنقه سرا ألزمك بعدم المحبة له وهذا نسق رقيق يحتاج الى شرح طويل * وسيأتى له بيان آخر ان شاء الله * ولا بدع فان اشراقات الروح حالة طلوعها على أجزاء الوجود وانطباعها في الآثار القابلة لاخذ الضياء منها بنسبة استعداد مادتها * لا بد وان تفيض أثراً نورانياً على كل أثر من الآثار المستعدة للاستفاضة منها كالعقل والمواد اللطيفة المتعلقة به * وهن عند جهابذة العرفان تسع مواد * فمادة الفكر * ومادة الخيال ومادة التذكر ومادة الحفظ ومادة التدبر ومادة الايعاء ومادة التمثيل ومادة الخاطر ومادة الوهم التي ينشق عنها على الغالب الخوف والرجاء * فكما ان هذه المواد التسعة اللطيفة تتعلق بالعقل وهو الام لها * وأمه الروح * والذى يعد للروح بمنزلة الاب انما هو الامر * فكذلك لتلك المواد فروع كثيرة تنتج عنها وتبرز منها . فمادة الفكر ان شطحت الى العلويات * واستقرت مع علمها بزوال الحادثات . قادت الى الزهد . فان قابلها العقل ببراهينه زهدت فى ذاتها . ومالت لصنع البر وعمل الخير . وجعلت نفعها متعدياً الى بنى النوع بل الى كل بارز من بهيمة ونبات وجماد رطب أو يابس وإن مالت الى الارضيات واحتجبت بالمرئيات . صار الحرص لها مشربا ومالت لنفع ذاتها وجمع الحطام في كل تصوراتها وعن هذا ينتج من صاحبها الظلم والعدوان والزور والبهتان والاندفاع مع الاغراض والتقلب في الامراض وعدم الشفقة على الخلق . والشره على ماتهواه النفس من دون وقوف عند غاية صالحة في الأقوال والأفعال ومادة الخيال وسيعة الساحة فى كل شؤناتها . وقد ترتقي الى المحال غير ان سائرها من كل طرقه

يقف امامه العقل * فاذا طرق العقل سائر مادة الخيال بقبضة مصورة فيه أخذها واستجلاها * ونشرها وطواها * والعقل هو كما عرفه سيدنا الامام الرفاعي * ماعقل النفس * فاوقفها عند حدها * في أخذها وردها * وهنا لك ان رأى العقل ان القضية المصورة في الخيال هي من الممكنات * وعنها تنتج النتائج المرضيات النافعات * فاذن يرفعها الى خزانته ويصرفها بعزمه الى مادة التذكر * فتقيم لها بالقوة الذاكرة * الأمثال والاشباه * والنظائر والاقيسة فان ظهر عسر وصعوبة في الامكان اختطفها العقل الى مادة الحفظ فاستودعها فيها الى ان يسهل امكانها ويتيسر ابانها ويجيء وقتها أوانها فاذا جاء الابان * فتح لها العقل خزانة مادة التدبر * فأخذت تمهد لها الطرق وتصلح لها الاساليب وتورد لها وتصدر وتستميل لها العزم في مايقتضيه الحال والشأن وتعضده بالعزيمة والهمة العظيمة * وتعطيها نظام الوقوف في حضرة مادة الايعاء * وهناك تتبادل مواعظ العقول * فكلما أفرغ لها كلمة وعتها فكانت أذناً واعية تقبل الرأي الحسن وترد الرأي القبيح * وبذلك تنجح في مقاصدها ولا تخيب في مصادرها ومواردها * وأما مادة التمثيل * فهي كالصندوق الذي يتضمن صور الاشياء * فمتى طرق وارد مذكر دفعته المادة المذكرة بأسرع من لمح البصر الى المادة الحافظة فاسقطته بمحفوظها الى مادة التمثيل * وهناك تكر القوة الممثلة الصور المحفوظة التي طرقت المادة المذكرة فتقابلها عين الخاطر الذي هو أحد اسطوانات حضرة القلب * وأحد دعائم العقل * فيقيم لها العقل شراعاً طويلاً في المادة الوهمية فتبرز فيها تلك الصور * مقابلة للمادة المخيلة * فترجع من طرق المواد اللطيفة المذكورة بأسرع من

البرق * حتى تقف في برزخ الوضوح بين العقل والقلب * وتلقي من هناك الى حضرة البيان فيترجم حكمها اللسان * ومثل ذلك سماع المرء كلام رجل شامي * وهو في العراق * فيرى ذلك المرء حالة سمع كلام الرجل الشامي * طوارق الوارد المذكر بالشام * فترفعه المذكرة الى الحافظة التى حفظت في خزانتها شكل الشام مطوياً فيها منشوراً في كمين الممثلة * فتكره اذ تأخذه الممثلة * فينجلى لعين الخاطر * شأن الشام ويبرز المثال على الطرز الذي تقدم شرحه * وقد يكون ذلك للبصير الذي لا يرى * وللأخرس الذي لا يتكلم * فالاعمى يأخذ مغترفات العين بالاذن * وتنوب له مناب الباصرة قوة الخاطر * والاخرس يغترف بالعين * والفاعل بالطرز المراد الخاطر * لكن بحكم ما أقامه الناظر * والمتكلم هناك العقل * والعاقل مراتبه كثيرة * والجامع العقل الكامل * وله شروط قال سيدنا الامام السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه * ما نصه لا يعد الرجل عند أهل الكمال كاملا * الا اذا بلغ عقله الاحاطة بجميع شبه الزنادقه والملحدين * مع فهم سوانحها * وغاية خبطها * وتمكن إيمانه من اهمالها ومحوها وقدر على دفعها * بسلطان الحجة الشرعية وبرهان الحكمة المحمدية * ولا يكمل حتى يبلغ عقله الاحاطة بشؤنات اللصوص والسكارى والظلمة وقطاع الطريق وأهل الغدر والخدعة والدهاء والحيلة ومصادر همتهم ومنتهاها * في مفازات أطوارهم * من كل شكل ونوع مع التيقظ * والمحاسبة للنفس مع كل نفس فلا يندلس فيها وصف من تلك الاوصاف الذميمة * وتكون له القدرة على تطهير تلك النفوس الأمارة المشوبة بهاتيك المصائب القاطعة *

لينوب عن النبي في مقام الارشاد * المحض * ثم قال سيدنا السيد أحمد * ولا يكمل الرجل حتى يبلغ عقله الاحاطة بحكم المعائب كلها ليذبه عليها وبالمحاسن كلها ليقرب منها بالحكمة السليمة والموعظة الحسنه * عملا بقول الله تعالى ﴿ أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ ولا يكمل حتى يبلغ عقله الاحاطة بمذاهب أهل الدنيا دهاقنتهم وحكامهم * وتجارهم والطبقه السفلى منهم مع الزهد فيهم وفى دنياهم فلو صرت له الدنيا في بيضة وجعلت ملكاً له ثم سقطت منه فانكسرت وذهبت وكأنها لم تكن لا يعبأ بها ولا يجزع لها * استغناء بالله وايماناً به * ويكون له الباع الرحب بالتخلص من ربقة الدنيا وأهلها * والحكمة الخالصة بتقريب المبعودين * ورد الشاردين * وايقاظ الغا لمين * ولا يكمل حتى يبلغ عقله الاحاطة * بالعوارض التي ترد على الناس على اختلاف طبقاتهم فيكون بما يحدثه الغني من الطغيان والتعزز أدرى من أغنى الناس * وبما يحدثه الفقر من الذل والمسكنة أدري من أفقر الناس * وبما يحدثه المرض من ضيق الصدر وطالعة العجز أدرى من اكثر الناس مرضاً * وبما تحدثه العافية من العجب ودعوى القدرة أدرى من أزيد الناس عافية * وبكل عارض ونتيجته أدري من خاصة أهله هذا مع التجرد من عوارض الاكوان * والازمان لله تعالى على الطريقة المحمدية الشرعية ثم قال سيدنا السيد أحمد رضي الله عنه * ولا يكمل حتى يبلغ عقله الاحاطة بمقادير الأشياء جزئيها وكليها * من طريق الاجمال فيعرف قدر الشيء عند راغبيه وطالبيه كمعرفته بقدره عند الراغبين عنه والزاهدين به لينظم حكمة الارشاد بالموافقة مع حكمة الامزجة * وعليه ان لا ينحرف في كل ذلك عن

منهاج الشرع ذرة * ثم قال سيدنا السيد أحمد رضي الله عنه في خاتمة هذه المقالة الجليلة * وصاحب هذه المرتبه الرفيعة كالغيث ابن وقع نفع وتفاوت مراتب العارفين * يدرك بهذا الميزان انتهي كلامه العالي عطر الله مرقده قلت وهنا لابد من تفصيلات مهمة * ليدرك الطالب رفيع منزلة العقل فالعقول عند جهابذة النظر بين المحققين * ترجع الى احدى عشر مرتبة الاولى مرتبة العقل الجامد وهو المشابهة للغريزة البهيمية * لايعقل الا الا كل والشرب والشهوة والثانية مرتبة العقل المنبعث وهو الذي تندفع شوارقه للترقي عن الجمود ببعض المناسبات * وتقصر عن الكثير من المراقى العاليات والثالثة مرتبة العقل المنحدر * وهو الذي تنصب شوارقه مع كل مايلوح لها بكلها * فلا تفيد ولا تستفيد والرابعة مرتبة العقل المتردد * وهو العقل الذي تصادم شوارق آرائه بعضها ومثل ذلك لاينتفع منه * الا بأول رأي يعن له * فاذا ردد الرأي * تردد وخلط وسبح مع الغلط * والخامسة مرتبة العقل المغلوب * وهو العقل الذي يندفع مع هوى النفس ويقف محكوماً له ويسد عليه الهوى منافذ الرأي ورؤية العواقب والبدايات * فصاحب ذلك العقل صاحب هواه فقط * والسادسة مرتبة العقل المقيد * وهو العقل الذي تستفزه مادة واحدة * ولا يسع عقله مادتين * فتى انصرفت شوارقه لمادة استفزته جهل غيرها حقرت أو عظمت * والسابعة مرتبة العقل المشغول * وهو العقل الذي تتشبث شوارقه بكل ما يسرح في قضاء الخيال من خطير وحقير * فيكثر البدايات * ولا يصل في شيء الى غاية * ومثل صاحب ذلك العقل * وان عظم شأنه وكبرت مرتبته لا ينتفع به * بل ضرره

اكثر من نفعه * والثامنة مرتبة العقل الثقيل * وهو العقل الذي يصل الى كنه كل حقيقة * ولكن يمنعه ثقل جوهريته عن فصل ما يصل اليه بعمل ما في الحال فتمتد في أعماله الأيام*ولكن لا عن أوهام*والمرتبة التاسعه مرتبة العقل المستنير*وهو الذي يستضيء بالنظريات والمشهودات والمسموعات * وينصرف بأثر ما يظهر له من أضواء الشواهد والدلائل* أما الى الدنيا المحضة وأما الى الآخرة المحضة*ومثل ذلك العقل ينتفع بصاحبه في أي منهج نهجه * بنسبة ما يحصل له من نور الاثر الذي ينصرف وراءه * والعاشرة مرتبة العقل البرهاني * ويقال له المطرف * وهو العقل الذي يستقري البراهين الحكمية * والدلائل النظرية من كل طرف * فله من كل رقيقة نصيب ومن كل حكمة سهم * وفي كل معمعة ندبة * وفي كل معركة خوضة * ولا يتعدى الحكمة بل هو واقف مع البراهين الصحيحة * لا يمنعه الهوى والغرض عن قبول الحكمة ولا ينظر بعد ان يراها من أي لسان صدرت وعلى أي جدار كتبت وعن عقل أي بر أو فاجر برزت * ومثل صاحب هذا العقل يرجع الى رأيه وينتفع بأفانين حكمه ومواعظه * وهو نفع عام للنوع الانساني لا ينظر في شؤناته الى امام أو وراء عنده القريب والغريب في الحق سواء يعدل اذا حكم ويصدق اذا تكلم ويرحم اذا غلب ويعفو اذا قدر * وفي كل أطواره للخير وفعله أقرب * والحادية عشر مرتبة العقل المحيط الجامع * وهي أشرف مراتب العقل وأعمها وأجمعها وأوسعها وأجلها واكملها * وقد ذكرت أوصاف هذه المرتبة التي هي مرتبة الكمال في مقالة سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه * التي سبق ذكرها * ومثل صاحب ذلك العقل الكامل يقتدي به ويرجع اليه

ويعول عليه ويتحلى بأحواله ويعمل بأعماله وينسج في الآداب والأخلاق على منواله وهو كالشمس والقمر له في كل فضيلة أثر أو كنسيم الهواء ورقراق الماء وأمثاله في كل عصر أقل من القليل * وهم الوراث للأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام * ومن المعلوم ان الآثار اللطيفة الموجودة في الوجود الآدمي غاية مبدأها المركزي الرأس وغاية منتهاها المركزي القلب * فالقلب تحت الثدي الايسر ومهبط شعاع الروح ذيل الثدي الأيمن ومهبط ثائرة النفس الجبهة والسر بين الثديين والخفي دونه * مما يلي الروح * والاخفي دون السر مما يلي القلب والعقل اختلف في مركزه * فقال قوم في الدماغ وشعاعه متصل بالقلب * وقال آخرون بل مركزه في القلب وشعاعه متصل بالدماغ * وقال أناس من عظماء المحققين * بل هو جزء نوري محيط بالدماغ والقلب والسر والخفي والاخفى والنفس ولطائف الفكر والتدبير والحفظ والخيال والوهم والتذكر والايماء والتمثيل والخاطر * وله السلطان على الكل سوى الروح والقلب * فهما أصلان عظيمان ودعمتان جليلتان * فسبحان من (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) فبرزخه ما بين الدماغ والقلب * وله عينان نضاختان * تتفجر الاولى من الدماغ * وتتفجر الثانية من القلب * وبهذا القول الفصل يحصل التوفيق بين كلام الفرق الثلاث وبتدبر حكم هذا القول يعلم عظم شأن العقل * وللعقل ثمانية أطناب . بهن تشد مبانيه ويمد بساط معانيه . الاول الزكاء والثاني الفراسة والثالث الدهاء والرابع التأني والخامس الفهم والسادس سرعة الادراك والسابع سعة الخلق والثامن صحة المحاضرة في النظريات والعمليات . ومن تحكيم أطنابه في حلق خيمته

المنصوبة في برزخها تصدر عنه الانفعالات العالية وكلما اختل ارتباط طنب منها اختل الانفعال المتعلق به بنسبة اختلال ارتباطه * ومن عجائب هـذا الشأن وأسراره الغريبة ان الامل يعلق قضية من قضايا الاكوان * ففي أسرع من لمح البصر * يرفعها الى لطيفة التدبر فتجد لها فيها مخرجاً فتمتزج به * وفي الحال تدفعها لطيفة التدبر الى لطيفة الفكر * وفيها تجد لها مميزاً ينقض ويبرم * حتى اذا صح عند العقل أحد الشأنين هز الهمة لطلب الأمل بما تقيمه له لطيفة الفكر * وهناك يقوم حاكم القدر الذي طالما أنكره المفتونون فان كان الأمل لديه مستحصلاً وافقت الشؤون والأزمنة والأمكنة والأحوال * ما أقامته لطيفة الفكر * وانتظم الأمر وحصل المطلوب والافترى ان القدر يبرم شؤونا لم تكن بحسبان المرء وتقلب الممكن مستحيلا وتحول بين المطلوب والطالب * وهذا مثال شريف في أسلوب لطيف * ومن تلك الأسرار ان المرء يشم في فروق نسيم الصبا وقت الصباح * فيأخذ من تلك الشمة نفحة صبا العراق * فتسقط تلك النفحة على القلب أو على الخاطر أو على الخيال * وهلم جرا * ففي أي لطيفة سقطت هزت تلك اللطيفة الى أسلوبها وأعملت بها فعال شأنها * فذكرت بلطيفة التذكر قطر العراق ومرت به على الحافظة فرفعته للواهمة * فكأن المرء في العراق * وهو في فروق * وربما أضحكته تلك النفحة * وربما ابكته * وربما جددت فيه عزماً للسير الى العراق * وربما وصلته بفكر وقطعته عن الآخر * وهي نفحة نسيم فارجع البصر الى هذا السر العظيم واعمل الهمة بفهم مضامين هذه الحكمة ولا حول ولا قوة الا بالله * ومن أسرار هـذا الشأن ان عين المرء تبصر

فسحة أرض ببغداد مربعة أو محدبة * أو تبصر شجرة أو حائطاً * فتفترق العين من تلك النظرة طريقاً الى الخاطر * ومنه الى المخيلة * ثم الى الواهمة تمر بكلها في طرفة العين فتمد لها تلك اللطائف * ذلك الطريق الى الروم * أو الى حلب فترى عين الوهم من صحيفة الحفظ المتسلطة على الخيال * ذلك القطر * كما هو فليتدبر * ومن أسرار هذا الشأن سقوط أحكام في الخاطر لم يرها الناظر * تندفع من حضرة معماة * فترى عين الوهم من صحيفة الخيال من الطريق الذي لم يتصل بالحفظ بلدة وأشجاراً وأماكن وآثاراً * ثم ينطوي مشهد الخيال * وبعد عشرين عاماً أو أقل أو اكثر * يصادف دخول الرجل صاحب الواقعة الى البلدة التي أشهده اياها الخيال ورفعها لعين واهمته * حتى القيت بعد هذا المشهد المنقطع عن الحفظ في الحفظ * فاذا رآها بعين بصره هزه الحفظ فسقط خاطره على الذاكرة فتذكر ما مضي من الخيال ووعى كلام الخاطر * كما يعي كلام اللسان * اذ يقال ﴿ فائدة بلا قاعدة ﴾ الألف واللام التى تدخل على الاسماء تدخل لمعاني العهد * أما لذكر متقدم * وهو المسمى بالعهد الخارجي * كقولهم فمنح الكريم السائل أو لكونه معلوماً عند السامع * وهو المسمى بالعهد الذهني * كقولهم * ليت لو أخذت لي من الحبيب أماناً * فان المراد بالحبيب * انما هو حبيب القائل المعروف عند السامع وتعريف الجنس المقتضي للعموم * وهو المسمى بالاستغراق * وقد تكون لمطاق الجنس مع قطع النظر عن الافراد نحو قولهم * الرجل خير من المرأه * فان المراد جنس لرجل خير من جنس المرأة * اذا الاستغراق هنا لا يصح ولا يراد * فان بعض النساء خير من بعض الرجال البتة *

وتعريف الماهية التي هي حقيقة الجنس مع قطع النظر عن الجزئية والكلية كقول القائل * واشتر الدقيق والعسل * فانه لا يراد شيء معين منه * ولا استغراق الجنس قطعاً * فعلى تفاصيل أل التعريفية وتقسيم أحكامها * سنبين هنا في المبحث الذي مر مايقتضيه المقام * فليعلم ان الالف واللام * اذا دخلت على الاسم * وكان من القسم المسمى بالعهد الخارجي سقط طارقها على لطيفة التذكر * فألقى لها الحفظ حكمها فظهر سرها وانتشر نشرها والمعنى ان الناطق اذا نطق بجملة تتضمن عهداً خارجياً اعترفها السمع فتذكر وأفاض للتذكر الحفظ * فاتت قوة الوهم بالمثلية * ولكن تلك مثلية خير * لا مثلية نظر ومثالها من كلام الله تعالى ﴿ فعصى فرعون الرسول ﴾ وأما مثلية النظر فهي في العهد الذهني * وتلك جملة تهز لطيفة الخاطر الى كل معلوم معهود في الذهن * وأما الاستغراق * وهو تعريف الجنس المقتضي للعموم فهو اذا سقط معناه على الخاطر هزه لجنس معرف لديه غير منكر * ولكن لم يقصد به فرد من أفراد الجنس * على نسق قول ابن الرومي *

وحبب أوطان الرجال اليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

وهذا التقسيم خاص بلغة العرب ومعانيه عامة * ومن أسرار هذا الشأن * ان المرء يشرب شربة ماء في خراسان أو في أصفهان * فيلقيها الطعم بحال معنوي * كأنه يتكلم الى الخاطر فيرفعه الى الذاكرة * فتأخذ من الحفظ حالا معنوياً القاه الطعم فيه من ماء في الحجاز أو في اليمن فيصور الوهم محل ذلك الماء وحاله * والمكان الذي هو فيه بما فيه * ولطيف في هذا الباب * قول سيدنا السيد محمد مهدى الصيادي الرفاعي عطر الله مرقده من قصيدة

شربنا من الماء القراح بجلق   قليلاً فأبكانا كثيراً لبغداد

ومثله الشم * وقد تقدم ذكر حكمه وحسن في معناه قول ابن الخياط الدمشقي *

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه   فقد كاد رياها يطير بلبه

ومن الطف الاشارات لهذا المعنى * قول سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي قدس سره العالي *

أتانا من صبا نجد نسيم   فغبنا عند هبات النسيم

وهنا تعلم اننا قد ذكرنا سر لطيفة السمع ولطيفة البصر ولطيفة الشم ولطيفة الطعم * وكذلك اذا لبس المرء ثوباً أو شيئاً من الكسوة في الصين أو فى الافغان * فأخذ من لمسها حالا معنوياً تراه يسقط بطرقه التي تقررت ويرفع نظر الوهم الى دمشق أو الى بلدة أخرى ويفعل فعل السمع أو البصر أو الشم أو الطعم * وهذا حكم لطيفة اللمس وقصة الخليفة ببغداد مع أبي العلاء المعري معلومة * وتلك حين كان يتشوق الى ماء المعرة * فاستجلب الخليفة له من ماء المعرة * بغير ان يعلمه * ثم سقاه منه في حضرته * فلما شرب وتدبر طعم الماء * تأوه وقال هذا ماؤها فأين هواؤها * ومن هذا الدقائق * علمنا ارتباط لطائف الوجود الفردي الخاص * بالوجود الكوني العام * لاننا رأينا ان السمع الخاص يغترف من الوجود العام شأناً والبصر والشم والطعم واللمس أيضاً * وكلما دق طور الفهم وعظم نور العقل كثرت الاغترافات الخاصة من الوجود العام فيرى صاحب ذلك الفهم ورب ذلك العقل حانياً على الناس كلهم عطوفاً عليهم رؤفاً بهم ولا تفاوت عنده الا بقرب المناسبات

وصحة الارتباطات * والا فهو نفع عام * حتى للنباتات والهوام وسائر صنوف البهم والانعام * واذا شوهد منه في بعض الاحيان غلظة أو شدة في حق فرد من الافراد فلا بد * وان تكون لاستخلاصه من سوء خلق واجتذابه بيد الشدة الى حال حسن أو لسلامة الجنس العام من أذيته التي قام عليها تركيبه وانتظم بحكمه فيها وجوده * ولا بدع * فالوجود العام الانساني في العالم الكياني * هو عند العاقل الكامل * كوجود واحد * وكلما كبر عقل المرء التصق بالوجود العام * وحنا على أفراد ذراته بلا نظر لاختلاف المذاهب والمشارب * ولم يتصدر لشدة ولا لمخالفة مع فرد كائناً من كان الا لقاعدة حفظه أو حفظ النوع منه واذا تدبرت رأيت ان عقول الانبياء * عليهم الصلاة والسلام * أعظم واكبر من عقول كافة البشر يؤيد ذلك علمهم المحيط بحقائق الاشياء كليها وجزئيها على الغالب من طريق الاجمال المعبر عنه عند علماء هذا الشأن بالاحاطة الجامعة * ومع ذلك فترى ارادتهم النفع للناس أعظم من ارادتهم النفع لأنفسهم الطاهرة وهم مع عظم مقاماتهم واتحادهم مع بعضهم في النعت والصفة سبق بعضهم بعضاً فى مرتبة عظم العقل * وكلهم أقمار العالم بل وخلاصة نوع بني آدم * وفى العقل طرازان طراز يأخذ بالمعاني الى أصولها وطراز يأخذ بالمواد الى أصولها * فأصول المعاني النفع العام فى كل حال * وأصول المواد النتيجة المشهودة المعروفة * سواء خصت أو عمت * والنفع العام سر خاص * والنتيجة المشهودة المعروفة الحاصلة من المادة هي نكتة نوعها خاص ومعناها عام * فالنوع الخاص منها تساسلها من أصولها ووقوفها في كل درجة من درجات التسلسل عند انعقاد المعرفه * التي هي ضد النكرة

بروز النتيجة * والمعنى العام انما هو استغراقي بنسبة الجنس الذي هو من مقتضيات أسراره العموم بدون حصر في فرد من أفراد جنس المواد * واذا أخذ العارف سر هذا التقسيم * في حكمتي الطرازين المادي والمعنوي * ولحق بعد ان يدنو ويتدلى الاصلين مع تصاعد درجات الاول * وتنزل درجات الثاني * ووفق بين الصاعد والهابط * وقف عقله بعد بلوغ الغايتين عند نتائج عقول الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وانتظم ان ساعده الحظ بسلك وراثهم الآخذين بمناهجهم الكريمة * وصار نفعاً عاماً للجنس فكان كالغيث أين وقع نفع * وذلك العقل هو العقل الكامل * كما سبق الكلام عليه * ومعنى هذا التعريف اللطيف * ان أسرار المواد التي يرجعها العقل الى آخر أصل منه يقف به عند غاية ماوراءها الا الحيره * وأسرار المعاني التي كلها لطائف في ذات الوجود يجهل المرء غايتها في وجوده * فينتهي فيها أيضاً الى الحيرة * وهنالك ويقف بين الحيرتين عالماً ان وراءهما ماهو وراء طور عقل المحدث العاجز بكله عن علم بدايته المادية وغايته المعنوية * وإذن يعلم ان لهذه البداية غاية ولهذه الغاية بداية أما غاية هذه البداية فهي * الموت والفناء * وأما بداية هذه الغاية فالسؤال ثم الجزاء وبعدهما البقاء على أن الروح لطيفة أمرية * والأمر من الاسرار الباقية * ولذلك معان تحتاج الى تفصيل تتعلق بالروح * وسيأتي ان شاء الله لها شرح كاف في بابه * وقد استفيد من هذا التمهيد * ان العقل هو سلطان مدينة الوجود * واللسان ترجمانه الذي يصدر عنه تبيانه * فان كان العقل غالباً على الاطنبة الثمانية التي سبق ذكرها أعني الزكاء والفراسة والدهاء والتأني والفهم وسرعة الادراك وسعة الخلق وصحة المحاضرة في النظريات

والعمليات * فهنا لك ينطق اللسان بالحكمة وتصدر عنه المواعظ الشريفة * ويترجم الآراء السديدة والاّ فاذا غلب للزكاء صار الكلام مضاداً للفعل * والفراسة ممزوجة بالخطأ * والدهاء مقرونة بالمخاطرة * والتأني محفوفاً بالجبن والفهم مشوباً بالغرور * وسرعة الادراك مسهمة بالطيش * وسعة الخلق موهونة بالبطاءة * وصحة المحاضرة في النظريات والعمليات مثقلة بالبطالة* وقد عد المحققون للسان الانسان آفات كثيرة * منها الكلام المكفر * او ما يخشى منه الكفر وتعمد الخطأ في القول والكذب وارادة غير الظاهر المتبادر من الكلام والغيبة والنميمة والالفاظ المشعرة باستصغار احد أو استخفافه بغير حق واللعن والسب وفحش القول والطعن والتغيير والمراء * وهو الطعن بكلام الناس باظهار خلل فيه * والجدال بقصد اخجال المتكلم * والنياحة والخصومة المذمومة * والغناء البذيء المتضمن الكلام الذي يا باه الشرع والمروءة * سيما في المواطن التي تنفر منها طباع ذوي النجابة * وافشاء السر * والخوض بالناس والتملق للدنيا عن غير ضرورة* وخدش شيم الكرام وكثرة السؤال والتجسس عما لا يعني * وكثرة القول في الذات والصفات والمقاصد المشكلات التي لا يفيد الكلام فيها الا تغليط الذهن بلا موجب * واعظام الكلمات لمن لا يستحق * والاطراء ولو للمستحق* والشناعة السيئة للرجل السيء والتكلم بلسانين أعنى في الوجه بنسق وفي الغياب بنسق آخر * والامر بالمنكر والنهي عن المعروف * والغلظة بالكلام والعنف فيه * والمزاح الزائد والاستهزاء والمغالطة * والقاء مالا يكون من التهم على الناس * والتكلم في وقت حفل الدين كالدرس * والصلاة والذكر وغيرها والكلام حالة الجماع

والدعاء بالشر على الناس * والتملق بالدعاء الحسن لاحد فوق الحد المشروع ووضع الالقاب للناس بما يستقبح ويستكره * واليمين بالله تعالى باطلاً وكذباً وبذل الكلام خدعة لاحد * وأضراراً له كائناً من كان * ورد عذر المعتذر واقامة الحجة بالباطل على الخصم * سيما ان كان ذاعي أو من الذين تتلجلج حاجاتهم في صدورهم * ولا يقدون على ذكرها والخوض في الدين بالرأي والزعومات * واخافة مخلوق واكراهه على شيء بقوة البيان * وسلب مال أحد بحيلة النطق وقوة التعبير * ورد التابع كلام المتبوع وتزييفه * وتلك تشمل الخادم والمخدوم والاستاذوالتلميذ * والحاكم والمحكوم والتابع والمتبوع والدخول في نجوى اثنين * والسلام على من تمنع الآداب السلام عليه * كالذي يكون في الحمام أوفى مشغلة الطعام * أوالمشغول بحال دنى * كالاسخرية والخوض بأعراض الناس * والسلام على من باشر قضاء حاجة بشريه لابد منها * كدخول الخلاء ومثل ذلك والدلالة على معصية * ومنها دلالة قطاع الطريق والغدارين على أموال الناس * والكلام بالشعر الفاحش * وتحريف الحق وتبديله بقوة التعبير باطلاً * والافساد بين الناس والشكوى من الدنيا * ونشر الاخبار السيئة وأمثال ذلك فكلها من آفات اللسان * التى يجب على ذي المروءة التباعد عنها * والكف عن كل وصف منها ويجب على العاقل ان يعود لسانه الجميل * وقد نقل القوم الاعيان بالاتفاق في كتبهم ان سيدنا السيد أحمد الرفاعي عطر الله ثراه مشي في وقت الصبح مع جماعة من أتباعه فرأى في الطريق خنزيراً * فقال أنعم صباحاً * فقيل له في ذلك* فقال أعود لساني الجميل * فاذا عرف العاقل آفات اللسان *وقابل كل واحدة

منها بضدها من محامد اللسان * فأطلق لسانه بالذكر والحمد والشكر والرضا عن الله في جميع الأحوال فقد فاز * ويجب عليه بث المحاسن للناس * والسكوت عن ذكر من لم يطق مدحه من الكرام بالذم مع الاجمال بالمدح والمزاح والاعتدال في كل جملة تقال * فكم يأتي اللسان بكلمات لا تقال * وكم يعثر بعثرات لا تقال * وعلى كل حال فالعاقل يملك لسانه والجبل يملك لسانه ويقول قائلهم لسانك حصانك ان قيدته ملكته فاعنت وان أطلقته تركك تعباً فاهنت * وأشرف ما يطلق به اللسان كلام في خير يعود الى الله والى نفع خلق الله * وقد ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم * الخلق كلهم عيال الله * وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله * وهنا ظهر لنا سر آداب الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الكلام * وفي الخبر الشريف قل الخير والا فاصمت * وقد قال حكيم العارفين مولانا السيد أحمد الرفاعي طيب الله مضجعه وأعز مقامه بشأن الكلام ما نصه الله * أوصيك بك أيها العاقل فانك خزانة من خزائن الرحمن عظيم عند من صورك * ان عظمت ذاتك وعرفت شرفها * قد امتازك ربك بالعقل ورفع به درجتك على من هو دونك * وأعطاك لساناً يقذف درر الحكمة الى سامعيه فيختلب بها قلوبهم ويشغل البابهم ويقعد هممهم ويوقفهم عند حدودهم ويجمعهم على صعيد القصد فلا تستصغر شرف الكلام وتهمل مرتبته التي هي أعلى المراتب المتدليه من العلى تدنياً الى العالم الأدنى * هذه ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي هي حروف التهجي * ورابطة نظم الكلام وكتاب الله المنزل على آدم عليه السلام والكلام سيف الله * الذي

يجمع به ويفرق ويبغض به ويحبب * ويفعل به العجائب تصلح به القلوب ترتبط به الاسرار تلين بسببه الخواطر تحصل الالفة والمودة تشق به العصا تحدر من موجته سيول الفتن تنطلق بسيال محدده عوائث غثاء المحن تنشط بهمة أساليبه الهمم ترتفع بنهضته العزائم الى حضرة القرب تحدر بجاذبته المواهب الى حظيرة القلب وراءه السيف المصلت * اذ هو مخبأ في طيه يلقى هو أولا ويقوم له السيف ثانياً * فهو من آلاته من مواده يعمل له ليرجع النظم اليه كلمة يقولها القائل وهو كافر زنديق فيقف بها في صف الموقنين وكلمة يقولها القائل وهو مؤمن وثيق فيقف بها في صف الكافرين الجاحدين ببيعتك أيها اللبيب على اسم ربك بعهدك على طريق نبيك تتصدر في محاضر القدس * هي كلمة قلتها ووقفت عندها فدخلت في القوم الذين [illegible] التقوى وكانوا أحق بها وأهلها * الكلام الذي ينطق به لسانك ويأتي بمركبه فمك * آية قلبك خزانة سرك * مجموع شرائف عينيتك مواد صفاتك * نظم كليات ذاتك أفرغت كلك فيه * بعد ان خرج من فيك كتب عنك * بل كتبك على الرقاع نقل عنك * بل نقلك الى الاسماع أطافك في الافواه والصحاف * أقامك في المجالس والدواوين أثبتك في العيون والقلوب * كن شريف الكلمة شريف الهمة * أخا الحكمة * لا تمط نقاب الحكمة بالوهم انتهى كلام سيدنا الامام الرفاعي * ومنه يعلم رفيع شأن الكلام * كيف لا * وهو العلم الدال على العقل والناطقة المنبئة عن العلم والترجمان الحاكي عن ضمير الفؤاد ويقال *

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ولما كان الفؤاد معدن الكلام ومنه تنبع عين العقل الواحدة * كما تنبع العين العقلية الاخرى من الدماغ فالكلام يجري من القلب الى الدماغ على متن العقل فان كان العقل كاملا حسن المقال وطاب وعذب وأتى بكل خير وان كان العقل ناقصاً خبث الكلام وقبح بنسبة نقصان العقل * وقد قيل الكلام صندوق * فمتى تكلم به المتكلم فتحت أقفال ذلك الصندوق عن عقل المرء فظهر على حروف الكلام كله وفهم به قله وجله وفى طي ذلك المعنى شؤن أخر تتعلق بالصوت ومخارج الحروف يعرفها أربابها ويدركها أهلها لها معنى جليل * ولكيلا نخرج عن المبحث الذي وجهنا الهمة اليه اكتفينا بالتنويه عليه *(تنبيه)* في صفحات الوجه وأساريره تسع لمعات * الأولى لمعة الحياء * والثانية لمعة المحبوبية * والثالثة لمعة المهابة * والرابعة لمعة الوقار * والخامسة لمعة الاخافة والسادسة لمعة الامل * والسابعة لمعة اليأس والثامنة لمعة حسن الظن * والتاسعة لمعة سوء الظن * وفقه ذلك انك ترى وجه الرجل فتستحي منه للمعة حال فى وجهه أو يستحي منك لسر اللمعة التي في وجهه وترى الرجل تحبه بمجرد النظر * وترى الرجل تهابه وترى الرجل توقره وترى المرء تخافه وترى المرء تؤمل منه الخير وترى المرء تيأس منه وترى المرء تحسن به الظن وترى المرء تسيء به الظن * نعم ربما أخطأت فراسة قلبك به وذلك لعدم احاطته بأسرار الكونية المندمجة فى رأسه أو فى أذنيه أو في جبهته أو في حاجبيه أو فى بسطة الحنكين ونصوعهما أو في خيط العنق طولاً وقصراً غلظة ودقة أو فى المقلتين ببروزهما أو سقوطهما عن الاعتدال غوراً أو تعديهما الاعتدال بالسعة أو الضيق أو تغير لونهما *

وتسهم حاق المقلتين بخطوط كثيرة من لون واحد أو مختلف أو فى امتداد الانف وطوله أو قصره أو دقته أو غلظته * وأمثال ذلك من رقائق الصنع فان أخطأت فراستك فاتهم علمك * واسأل أهل العلم المحققين * تصل الى علم اليقين * ولا يخفى عليك ان أهم أسرار الصنع في أطراف الوجود * كالاكف والقدمين والرأس * فعلى الاجمال * وفي الغالب اذا حسنت الأطراف حسناً متسقاً كامل التناسب حسنت الأخلاق وان اختلف نسق بعضها اختلف شأن الخلق بنسبتها ولحكم الوضع الصنعي أسرار قائمة في الوجود لا بد من بروزها فيه * وهنا قيد يلزم النظر اليه * وهو ان الامراض والعلل التي تطرأ على البشر وتغير البعض من وضع الصور * فالاستدلال بها لا يعتبر * وقد فرق النظريون بين الملاحة والحسن * فالملاحة خطافة للقلب جذابة للسر فعالة كل الفعل باستمالة العقل * وأما الحسن فانه دون ذلك * نعم له دهشة * ولا يكمل الانقياد اليه * الا حسن الخلق * وما ألطف قول القائل

وما ينفع الشبان حسن وجوههم   اذا كانت الأخلاق غير حسان
فما كان مخضوب البنان بثينة   وما كل مصقول الحديد يماني

وحيث ان كرم الأخلاق من أجل البراهين على عظم جوهر العقل وهو النفس عند قوم * فلذا قال قائلهم

اقبل على النفس واستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وقال آخرون بل لما كان مركز النفس الجبهة واتصالها بالعقل اتصال مزجي * والاضافة تكون لادنى ملابسة سموا العقل بالنفس * والحال انه غيرها * اذ هي مركبة من الهوى والشهوة والجموح وحب ماطاب لها ولو

خالف الحق والعقل عقال عن الكل غير انه أقرب اللطائف الذاتية الى النفس * وقال آخرون ان النفس هي الروح أخذاً من الحديث الشريف * وهو قول النبي الأعظم روحي لغبار أعتابه الفداء والذي نفسي بيده أي روحي بيده * وقال آخرون بل النفس هي النفس الشهوانية الأمارة * والدليل الآية الكريمة وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الآية * وقال جلة من الأعاظم * لفظ النفس اسم اشترك به العقل والروح والذات يقال رأيت اليوم عشرين نفسا * أي رجلا وهذا من سعه اللغة وعلو اشاراتها فان قلت دبرت عليّ نفسي كذا وأفرغت لي من هذا الرأي كذا * فقولك يفسر بالعقل * واذا قلت اشتهت نفسي عليّ كذا * فيفسر بالنفس الشهوانية * واذا قلت ربطت نفسي بحبل الله * فيفسر بالروح * واذا قلت ألقيت نفسي على الأرض ونمت * فيفسر بالذات والقائل بلزوم استكمال النفس الفضائل ينصرف قوله الى كل المعاني المذكورة * فان صرفته الى العقل قلت ألزم العقل بالتهذب * بالعلم والتجرد عن كثافة الشواغل التي لا تعني * والميل الى كل ما يحسن ويستحسن عند أولي العقول المحيطة الكريمة والقلوب الشريفة السليمة وان صرفته الى النفس الشهوانية * قلت ألزم النفس بالرياضة عن الشره وقبح الجموح ومتابعة الهوى والتباعد عن حب ما يخالف الحق * وان صرفته الى الذات * قلت بتصحيح الحركات والسكنات وتقييد السماع واللسان والنظر والفرج واليد والرجل عما يخالف رضاء الله * ويستقبح لدى أهل المروءة وان صرفته الى الروح * قلت ألزم الروح بصحة الارتباط بالله في كل الشؤون بحكم انا لله وانا اليه راجعون * ولما كان الانسان كنز هذه الاسرار الشريفة

ومعدن هذه اللطائف المنيفة وجب عليه صيانة هـذه الأسرار واللطائف باستكمال الفضائل المادية والمعنوية واعلاء شأنها بالعلوم والآداب الواجبة المرضية وتقييدها بالنفع العام واطلاقها في بحبوحة التودد لكل من الأنام والا فينعكس الحال * وتسوء والعياذ بالله الخلال * لأن العلم شرف العقل والعمل شرف العلم ونتيجة العقل العلم ونتيجة العلم العمل ونتيجة العمل حصول سر غيبي يصلح شأن المرء يأتيه من حيث لا يعلم فيعلي مجده ويجلو فى منار الفخار جده وسعده * جاء في الحديث الشريف * من عمل بما يعلم * ورثه الله علم مالم يعلم * وقد رأى بعض حكماء العارفين * ان العمل هو الأدب وان قليله خير من كثير العلم * وقد قال سيد الأدباء نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي * والأدب التحقق بكل خلق كريم * والتجرد عن كل خلق ذميم * ورعاية الحق باتباعه * وهجر الباطل برده * والوقوف عند الحدود في الاقوال والافعال والاحوال ومخالقة الناس بخلق حسن * وأصل هذا ان لا يرى نفسه خيراً من غيره ولا ينافي هذا النظر حفظ المقام بالوقار وصيانة المجد فانهما من المروءة ولا بدع * فالمروءة كلها أدب وكلما صح الادب صح الارتباط بالنوع العام فحسنت العلائق وطابت الخلائق * ومن غلظت طباعه وقل أدبه ساءت علائقه وخبثت خلائقه وفك ارتباطه من النوع * وتارة ترى الكامل الآداب الصحيح المنهاج * الحسن العلايق الطيب الخلائق محلاً لنفرة الكثير من الناس فلا تعجب فهناك سر لطيف * وذلك ان الناس الذين ينعتون بالانسانية * هم الذين يأنسون بأهل الحق * ويأنس بهم أهل الحق * فاذا قابل صفاؤهم كدر

أولي الغلظة والجفاء ألقي على لوح مرآة مشاهدهم شيئاً منه فانعكس ذلك لصاحبه الذي ألقاه فرأى الناس بحكم غلظته فكرهم لجهله بأن الذي رآه حاله وخلاله * وفي الخبر المرء مرآة أخيه ولا تغفل فان أعداء السفهاء وأعداء العلماء الجهلاء * وفى كلام سيدنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي عنه الجاهلون لاهل العلم أعداء * ولا عبرة بحال عالم يحسد عالما آخر ويهضم من حقه فان الحاسد لم تكمل له مرتبة الادب في العلم * فان العلم بلا أدب كالسراج بلا زيت ومتى لم تكمل للعالم مرتبة الادب في العلم غلظت طباعه وساءت أوضاعه * وحسد الناس على ماآتاهم الله من فضله فاندمج في عداد الجاهلين * الذين يجب الاعراض عنهم وفي كلام الامام الرفاعى * عطر الله مرقده رب علم ثمرته جهل ولذلك مؤيدات من الاخبار الشريفة كثيرة * والعلم كلمة مركبة من عين ولام وميم فالعين تشير للعمل واللام تشير الى اللسان * والميم تشير الى الملكة فاذا انتظم العلم * من عمل صحيح ولسان فصيح وملكة حسنة فصاحبه عالم * وفي الخبر حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم وهذا الانتظام من العمل واللسان والملكة * قد ينعكس فينتظم لعلماء السوء من عي ولقلقة ومراء * فاذا كان كذلك هدم منار العلم بهم ويقال لمن انتظم علمه من عى ولقلقه * ومراء جاهل وسر العلم الكامل عرفان عملي ولسان لوحي ومدد معنوي * فاذا رأينا العالم جمع بين العرفان والعمل وتكلم بالحكمة * وأسعف بالمدد المعنوي عرفنا انه استكمل العلم * وحصلت له بركة الحال النبوي والفضل الالهي في علمه * والجاذب لهذه المراتب الادب الصحيح الذي لم يمتزج برياء * ولم يدنس بدهاء ولم

تشبه غلظة ولا جفاء وكل هذه المزيات الكريمة * تنبجس عن بابعة العقل الكريم الذي صحت جوهريته * وقامت في بحبوحة الوجود نيرة كونيته وهو على قول بعضهم أول مخلوق * وان ضعف بعضهم الخبر وأنه من كلام الاسرائيليين الا ان المعنى يؤيد المبني * اذا النظم الاول العقلي انتظم بالنور المحمدي الآدمي * والنور المحمدي الآدمى أول مخلوق * كما جاء في حديث جابر رضى الله عنه والخبر مشهور * وعلى هذا فالعقل نوره مندمج في النور الاول * وعلى هـذا القول يعول ونكتة العقل هى سر قائم في الوجود الآدمي به يشرف الوجود ويعظم قدره * ويطاع أمره ويكبر شأنه ويرجح ميزانه وقال شيخنا السيد محمد مهدي الصيادي * المعروف بالرواس طاب ثراه العقل فيه أربع حجج الاولى حجة العبدية * والثانية حجة القربية والثالثة حجة اللفظية * والرابعة حجة الوقوف معه في كل قضية * فحجة العبدية تشير الى عدم التجاوز الى مرتبة ربانية * لا في قول ولا فعل ولا بادعاء قدرة ولا بزعم قطع ولا وصل * وحجة القربية تشير الى تكرمة الانسان وقربه من خالقه أكثر من سائر الصنوف المخلوقة * ولهذا يترتب عليه رعاية آداب القرب وحجة اللفظيه تشير الى انتساق اللفظ بميزان العقل * كيلا يتعدي رتبة العقل في أقواله كلها لا فيما يؤل الى الخلق * ولا فيما يؤل الى الخالق وحجة الوقوف مع العقل تشير الى التقيد به * في كل شأن يعمل به اعتقاداً أو صنعاً وهذه حجة الماتريدية والتوفيق بينهم وبين الاشاعرة في هذا أمر معلوم * اذ العقل ملزم بتصديق الرسول بعد مجيئه * والبحث لايحتاج الى البيان * فبهذه الحجج الاربع انتظم أدب المرء انتظاماً كاملا * فان من عرف قدر العبدية

وقف عندها وماتعداها * ومن أدرك شرف القربية خاف من الابعاد فلزم مرتبة الادب لدوام منزلة القرب ومن عرف مزية اللفظ * وما فيه من الاسرار خزن لسانه بمخزن العقل وأطلقه بعنان العقل * فطاب كلامه وصح نظامه ومن أدرك علو مرتبة الوقوف مع العقل * اعتبر وصحح الاستدلال والنظر وتواضع لله وللبشر ووقف في أحواله * بين الخبر والخبر وكذلك من انقاد للعقلاء وصحبهم فهو منهم وان نقص في مرتبة الكمال عنهم * لان مراتب العقلاء أربعة رجل عاقل يعمل عقله بالشؤن المهمة * مبادرة ويستمد من العقول العالية استعانة ويحكم برأيه أمره * بين مبادرة الذاتيه اللازمة والاستعانة الاخرى المتعدية ورجل عاقل يعمل عقله بالشؤن ولا يستمد من عقل غيره * ورجل لايقدر على استعمال عقله ولا على الاستمداد * من عقل غيره * ورجل يعمل عقله ويستمد من عقل غيره ويحكم أمره * بعرضه على الآراء الكاملة من ذوى العقول السليمة * فيجعلها حكما على عقله وعقل من استمد منه * فالأول عاقل غير حكيم * والثاني ليس بعاقل كامل * بل عاقل مغلوب لرأيه * والثالث ليس بعاقل البتة * وكأنه ليس برجل * والرابع هو العاقل الحكيم الكامل الذي يعول عليه ويرجع في مهمات الامور اليه * وان جوهر العقل يزداد صفاء بالاستمداد من العقول العالية وبذلك تعلو آراؤه ويعظم بهاؤه * وهذا من أعظم الادلة على ارتباط الوجود الخاص بالوجود العام * وكلما كثر هذا الارتباط العقلي * كبر العقل وأضاء جوهره * ونما معناه * واذا أجلت النظر وأمعنت كل الامعان رأيت

ان تمرين العقل بالعلم ومزجه بالاستفهامات النظرية والاستطلاعات الفنية والاستكشافات الكونية يثبيه * أعنى العقل صحة نظر ويرفع جوهريته الى مرتبة لم يكن وصل اليها قبل ذلك * ولا عيب للعاقل أعظم من انكماشه عن الارتباط بصنوف العالم ارتباطاً نافعاً يرفع بعقله الى نظر واستدلال صحيح وهذه مزية المسلمين * فان الله تعالى قال * يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة * الآية . فهي تشير الى صلة الرحم الآدمي والتواصل والتوادد وعدم التقاطع * وأما الحجر على الوجدانيات * بعد بيان الغامضات من المعتقدات * فهو مخالف للدين المبين بدليل قول الله تعالى * لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي * وقد نهى القرآن العظيم عن استخفاف النوع الآدمي * وأفادنا تكرمته عند الله بدليل قوله تعالى * ولقد كرمنا بني آدم فمن أهان المكرم فقد خالف الكتاب وعصى رب الأرباب ولا يستخف بالنوع الا الجاهل الغبي * الذي انحجب عن فهم حقيقة آدميته وجهل حكم الرحم الآدمي * ووقف لوهمه مع جنسه الاخير الذي قيد طبعه الثقيل عن كشف حجاب الوهم بأنا فلان من الامة الفلانية * وتلك بلية الجفاء ومصيبة الغلظة * والمسلم لا يكون فظاً ولا غليظاً * وتأمل قوله تعالى لنبيه الأعظم صلى الله عليه وسلم * ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك * وقد يرى من بعض الامم * من يستخف بأفراد الامم السائرة زاعماً الخيرية له ولقومه عليهم * والخيرية أما ان تكون عقلية وأما ان تكون شرعية * فان كانت شرعية فهي مقيدة بنص قوله تعالى ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وذلك مجهول بالنظر الينا * اذ الاتقى عند الله * لا يعلمه الا الله * وان كانت

عقلية * فالبشرية تحت نظم واحد في صورة واحدة على تركيب واحد * وما زاد عنها فهو من مستعارات الكيان * كالمال والقوة والصناعة والفراغ والامن * وأمثال ذلك فكلها قابلة التغيير ممكنة الانعكاس من حال الى ضده ولا يطمئن لها ويطغى على بني نوعه الآدمي * الا الأحمق الجاهل الذي انخرط بسلك الوحوش وقام بعمل مغشوش * وهنا تعريجات أخر تشير الى حكم كلها درر * قال سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه ما نصه * ما أعظم أسرار الله المطوية في عوالم خلقه * الف الأمم تعظيم عظمائهم * والف كل أمة التشوف الى حال عظماء الأمة الأخرى * فاذا رأوهم وان كانوا فوق عظمائهم أولي قوة وأولي بأس شديد * حطت بهم أعينهم عن مراتبهم ورأوهم دون ماهم فتراهم يستعظمون مالهم ويحطون على عادتهم يتعجبون من كثرتهم ويسخرون منهم للباسهم * وما ذلك الا لقصر النظر عن استجماع شؤن الناس واستكناه حكم حالهم وحكمة عاداتهم وشأن بلادهم وما هم عليه ولتمكن حال عظماء تلك الأمة وشأنها من قلوب الأمة ولانطباع النفوس على تلك العادات والمشارب والأمر كذلك في العقائد والمذاهب * والحكيم العاقل لا يرى هذا ولا يقول به * وانما يستكنه الحق فيقف عنده * يحسن ما حسنه الشرع لاستجماعه أشرف المحاسن ويقبح ما قبحه الشرع لنزاهته عن القبائح * ويضع كل شيء بميزان الحكمة * فان رجح استرجحه وان خف استخفه * وهو في الأمرين على منصة الأدب لا يهتك ستر الله المنسدل على مخلوقاته * انتهى كلامه العالي * فتدبر أيها اللبيب المنصف سر هذه الكلمات الشريفة والحكم اللطيفة * وقف عند حد

الادب في القول والعمل * واجعل عقلك عقلاً كاملاً منطوياً على الحكمة آخذاً بها معظماً للنوع الآدمي محباً لهم مريداً الخير لكلهم ناصحاً لهم تقودهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى مايرضي الله ويدل على الله * وخير الخلق عند الله أنفعهم لخلق الله * بهذا جاءنا الكتاب وأخبرنا صاحب فصل الخطاب * واذا صحت المناسبات مع كل فرد من النوع على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم للمرء * ووقف بعقيدته الحقة الوجدانية مع الحق * وافق الناس في الأقوال وخالفهم فيما لا يرضي الله من الافعال * وصار مظهراً من مظاهر الحق في الخلق * وهو حينئذ الحكيم الكامل * ولا يعد السياسي سياسياً كاملاً * الا اذا قدر على مداراة العقول ورعاية القلوب وجرد نفسه عن طيش الغلط بالتفوق والعزة * التي تبقي ضغائن في قلوب العقلاء والحكماء وقد قال أحد التلامذة لشيخ له حكيم * لم يا سيدي لم تحرز مع فضلك هذا وسعة علمك منزلة كفلان الذي هو دونك علماً وعقلاً وخلقاً * فقال له لان العقل والعلم لا يقبلان الذلة والملق * والنفوس تميل اليهما * ففلان لما تذلل وتملق علا * ولكن لا عند العقلاء فافهم * والمداراة حدها لين الكلمة وترك الفظاظة والغلظة وإيضاح الحجة الصحيحة في الدعوى وطرح الذلة والملق والمداراة * مادة العقل وخلق الأنبياء * ولا يكون العاقل حكيماً كاملاً * حتى يكون مدارياً * والا فاذا مزجت الكلمات اللينة بفظاظة وغلظة * كانت سماجة وان جردت عن إيضاح الحجة كانت هذيانا * وان شيبت بذلة وملق كانت عجزاً أو نفاقاً * والاخلاق الرفيعة العالية المقتبسة من أنوار الأنبياء مطهرة من تلك الاوصاف الساقطة السافلة * لان العقل منارة العز والشرف

للآدمي * والمداراة مادته وحدها الحد الذي بيناه * فمن تخلق من أهل العقل الكامل بأخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام * استعمل عقله المداراة المجردة التي ذكرناها * وهناك يعد حكيما عاقلا * ولا يمكن لرجل من خلق الله تعالى عظم أو حقر علا أو سفل ان يدعى مراتب الانبياء * وان ادعاها فهو كاذب ممكور مخذول في كل الأمور * نعم له ان ينتظم بسلكهم * وان يتخلق بأخلاقهم ويعمل بأعمالهم * فمتى استمدت أعماله بقوة العقل من أعمال النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم * صحت مناهجه وطاب مسراه ونفيت عن عقله وعمله العلل الخاذلة ودخل بعون الله في حضرة الامن واندمج في حب القوم الذين ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وبحكمة المداراة يصل الى مرتبة نفع الخلق ويتم له سهم عظيم من ارتباط نوعه الخاص بالنوع العام وتلك شؤن عظماء الانصار وأعيان الاجيال والادوار الذين تصلح بهم أمور العامة وتبتهج بهم محافل الخاصة فتدبر * ومن أعظم مواد العقل القاء الخطاب على العقول بما يلائمها * ولا يقوم بما ينافي افهامها ويعييها * فان ما يعيي العقول وينافي افهامها * ينكر ويجحد بل ربما أنتج اختلافاً وجدالا * وأبرز شؤناً ثقالا * والخطاب بما يلائم العقول والافهام من أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام * وفي الخبر كلموا الناس على قدر عقولهم * وفي النهي لمن لا يتكلمون بما يلائم العقول * جاء أتريدون أن يكذب الله * وفي محامد الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم * قال صاحب البرأة

لم يمتحنا بما تعي العقول به حرصاً علينا فلم نرتب ولا نهم

وفي الكتاب العزيز ﴿ لا يكلف الله نفساً الا وسعها ﴾ ومن حكم الامير

أمام الائمة سيدنا علي كرم الله وجهه كن رجلا يقول مايعقل ويعقل مايقال * وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي نور الله مرقده * الكلام بما يلائم عقول السامعين برهان على ضخامة عقل المتكلم وقال أيضا العاقل اذا أراد الكلام على أمر تكلم وكأنه يصعد على الدرج * حتى يصل الى الغاية درجة بعد درجة * ليمهد للعقول مايلائمها فان الجاهل يستوحش من كل مايجهله * قلت وقد قيل من جهل شيئاً أنكره ومن هذا علمنا ن آداب الانبياء * ألزمتنا بازالة جهل المخاطب بالحكمة الهوينا على تنسيق صعود الدرج من درجة الى أخرى ليزول جهله * وبذلك يزول انكاره ويلتحق بالعلماء في ذلك المبحث الذي صدر له فيه خطاب العالم العاقل الحكيم فتدبر * وهنا سر لطيف فان العقل يحجب بحجب الاغلاط التي تنشأ عن الجهل والفهم السقيم وعدم بلوغ غاية المقصود * وله في طي تلك الحجب مراتب كل مرتبة منها تعد بحكم درجة فاذا القى الحكيم العاقل الخطاب في أمر ما على جاهله * توجهت اليه همة العقل بالانكار * وهو أول مرتبه أي درجة * فاذا قام العاقل الحكيم بالحكمة العقلية العالية وأوضح القصد * ارتفع الجاهل من مرتبة الانكار الى مرتبة الشك * فاذا ارتقى العاقل الحكيم درجة البيان العقلي وألقى الخطاب فيه على الجاهل بالحكمة والمداراة من غير غلظة ولا فظاظة ولا رؤية نفس وقصد تفوق * ارتفع الجاهل الى مرتبة التردد بالميل رغم جهله الأول وفهمه السقيم المعتل * فاذا ارتقى العاقل الحكيم درجة الحجة فأوضح بلطف التعبير المحجة * انقاد الجاهل بكله للقول وأذعن له وأخذ به وترك جهله فيه * وحينئذ فقد شارك العالم بالعلم في تلك القصه * وصار له منها أشرف حصة * وفوق هذه المرتبة

للجاهل لا مرتبة الا معرفة الحق والعناد فيه * وهو المعبر عنه بالكفر العنادي أي عناداً مع العلم وهناك فالامر مفوض الى الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء * وفي هذا المقام بحث رقيق أوردته في بعض كتبي غير ان لفت العنان اليه يخرجنا عن المبحث المطلوب * ولذلك اكتفينا بالاشارة اليه وحسبنا الله وكفى * ومن أشرف مواد العقل الدفع بالتي هي أحسن * فانها لا تستوي السيئة ولا الحسنة وسر الدفع بالتي هي أحسن يجعل العدو ولياً حميماً * والمخالف موافقاً والخصم خصيماً * وذلك سر قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وقد عرفنا الكتاب العزيز ان الدفع بالتي هي أحسن مزية لا يتحقق بها الا من صبر وأوتي حظا من الله لا من البشر * فانه جاء في النظم الفرقاني بعد قوله تعالى (كانه ولي حميم) ومايلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فاذن عرفنا ان ابدال السيئة بالحسنة والدفع بالتي هي أحسن من القول والفعل لا يتمان الا بالصبر والصبر من أعظم مواد العقل * فان العجلة التي هي ضد الاناءة من مواد الطيش * وهو أعني الطيش خفة في الطبع تحصل من قلة العقل * ولا تستحسن العجلة في أمر * الا اذا كان من الامور التي تؤل الى الله كبر واحسان وتقوى ونفع متعد وعمل يستوجب الثناء في الدنيا * وخير الجزاء في العقبى والا ففي جميع الامور التأني والتمكن والصبر بل المصابرة اقرب الى الحزم * وان الحزم من اجل مواد العقل * وكلها من اخلاق النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ومن آدابهم الكريمة التي تؤل لنفع الخلق فتدبر ومن مواد العقل * ترقب الفرصة عند صدمه الغصة * وفي هذه المادة المعنوية حكمة

جلية فيها الفرق بين ترقب الفرصة عند المتأدبين بآداب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام * وترقبها عند المغاوبين لانفسهم المحكومين لاغراضهم المقيدين بأمراضهم فالمتأدبون بآداب الانبياء اذا صدمتهم الغصة ترقبوا الفرصة * فاذا ذهبت الغصص وساعدتهم الفرص عفوا عن المذنب واحسنوا للمسيء وبذلوا لمن بخل عليهم نوالهم وزكوا باتباع الحق واهله احوالهم وافعالهم فاكتسبوا بذلك من الله خير الجزاء * ومن اهل العقول السليمة وافر الثناء وأما المغلوبون للنفوس القاصرة المحكومون للاغراض الخاسرة فانهم اذا ترقبوا الفرص وساعدهم الزمان بها غدروا وفجروا وأساؤوا للمحسن وأهانوا المجمل * وقابلوا على كل حسن بكل قبيح وأولئك هم عصابة الخنا ونتائج الزنا وفي هذا المعنى قول بعضهم

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الاسارى وطالما ... غدونا عن الاسرى نعف ونصفح
ويكفيكمو هذا التفاوت بيننا ... وكل أناء بالذي فيه ينضح

ومن هذا التمهيد علم ان آداب الانبياء عليهم الصلاة والسلام تلزم العقل النير ان يترقب الفرصة عند الغصة فاذا زالت الغصة وساعدت الفرصة * ألزمته آدابهم بالعفو عن المذنب والاحسان للمسيء وبذل النفع العام للنوع العام فتدبر ولا يخفى ان عظماء الامم انما سادوا في أقوامهم بمقدار جلبهم النفع لهم * وتلك السيادة التي تذعن لها العقول وتطيب بها القلوب وتفوه بها الالسن لا كالسيادة التي تنتج بمحض الغلبة والقدرة فانها تحت خطر الغرض يعرف ذلك العقلاء * قال سيدنا الامام الرفاعي عطر الله مرقده من أخذ

الناس بقوته القاهرة ترك في قلوبهم الضغائن عليه كيف كان ومن أخذ الناس بانكساره ترك في قلوبهم الاعتراف له بعز أو هان * وقال أيضاً علامة العاقل الصبر عند المحنة والتواضع عند السعة والاخذ بالاحوط وطلب الباقي سبحانه وقال أيضاً الكريم حي واللئيم فاجر والحسيب يقبل العذر ويقبل العثرة ويصبر اذا ابتلى * والدعي مترفع اذا أمن متواضع اذا خاف مداح اذا رضي ذمام اذا غضب لا ميزان له في الحالين انتهى كلامه المبارك وفيه مايؤيد قولنا الذي هو ميزان النظم العقلي الصالح الفارق بين العقل السليم والعقل ساد عرابة رضي الله عنه في الاوس مع ضخامة مجدهم وعلو شأنهم وكان من أطرافهم فتقدم على أشرافهم فاستقدمه معاوية رضي الله عنه الى الشام وسأله عن ذلك فقال سدت قومي بثلاث منحت سائلهم وعفوت عن مسيئهم وقمت بقضاء حوائجهم فقال له وحق مثلك ان يسود وأمر شاعره أن يمدحه فقال فيه

رأيت عرابة الأوسي يسمو على الاعراب منفرد القرين

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ولا تذهل فعرابة أوسي العرق من نفس القبيلة فمجده مجدهم غير انه لم يكن من كبارهم فسودته جوهرية عقله على كبارهم وصغارهم ومن مواد العقل حفظ حق النعمة قلت أو جلت * ومعنى ذلك شكر المنعم والذب عن عرضه ومجده والانتصار له على من عاداه والموالاة لمن والاه ولا بدع فمن يهضم حق المنعم ويسيء المحسن ويمكر بالمجمل انما هو الخبيث الولادة الدني الارومة القبيح الجرثومة الذي ساء عقله واختلت أطنبة عقله الذي يحسن بسببها قوله وفعله * ولذلك قال سيد المخلوقين صلى الله عليه وسلم * من لم

يشكر الناس لم يشكر الله وفي كلام سيدنا علي المرتضي كرم الله وجهه * العاقل شكور والخب كفور ولا يحفظ النعمة أعني يحفظ حقوق أهلها الا كريم الولادة * وبحفظ حقوق النعمة تنمو النعمة ويكثر الثناء وتصان العواقب وتحمد * وفي الخبر كل خلة يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وفي خبر شريف آخر * كفران النعمة كفر * ومن هذا التمهيد يعلم ان النفوس مطبوعة على حب من أحسن اليها والاحسان هو ما يمكن لباذله بذله ولا يكلف فوق طاقته * فاذا بذل المرء براً قل أو جل لرجل وأحبته نفسه فقد أتى بحكم الطبع الانساني فلذلك المحب القائم بحق النعمة بالشكر والثناء والحمد والدعاء يجب أن يعامل على الدوام بالبر والاحسان وإن كفر النعمة وأساء لمن أحسن فاذن نفسه نفس خبيثة خرجت عن حكم طبعها * الانساني واندمجت في طباع البهائم المضرة وعلى هذا فصاحب تلك النفس خبيث الولادة * يجب على كل ذي طبع كريم آدمي الاحتراز منه * والتباعد عنه وبهذا الايضاح يعرف اللبيب شأن حكمة الانبياء وآدابهم ومعنى اعتنائهم عليهم الصلاة والسلام * بتهذيب العقول والنفوس وفي كلام الامام الرفاعي على قدر العقول تزكو الاعمال وقال من أحسن سياسة نفسه ومعاشرة اخوانه * فهو عاقل حكيم ومن جهل نفسه وبخس الناس أشياءهم فهو أحمق لئيم * قلت فاذا بخس الرجل حق الناس بكفران نعمة أو هضم حق فهو أحمق * قصير الرأي سيء العقل وان لقمة يأكلها العاقل من يد رجل تقف في طريق عقله * فلا يمكنه عقله السليم ان يهضم قدرها ويكفر حقها فما بالك بنعم طائلة * وبر كثير واحسان جم نعم هنالك شأن عجيب * وذلك ان من يكفر قليل البر * يكفر كثيره وحكم الطبع غالب

لان الطبع قائم مع الروح * وقد قال الامام الشافعي نفعنا الله بعلومه *

الطبع والروح مجتمعان في جسد لم يذهب الطبع حتى تذهب الروح

وقد قال الحكماء ان الطبع القبيح يضمحل بالتهذيبات الصالحة العملية وبقوة الجوهرية العقلية * فلا تندفع آثاره من كمينها الا اذا كان المرء جاهلا ضعيف جوهرية العقل * كالسرقة والزنا والغدر وحب الكذب والبهتان * وفحش القول واختلاق المعائب للناس زوراً * والسعي بين الناس بالفتنة وأمثالها فان كانت تلك الخصال * أو بعضها فى طبع الرجل وهذب بالعلم * وكانت جوهرية عقله ضخمة جليلة * غاب طباعه فأخمد ثائرتها وبقيت مع وجود حكمها فيه * كأن لم تكن وان لم يكن عالما عاقلا ظهرت عليه آثار الطبع * وصدرت عنه انفعالاته فبرز منه الشر لنفسه ولغيره * وتعدى ضرره للنوع ووجب على الهيئة الاجتماعية * ازالة شره ليأمن منه أفراد النوع * ومن ثم أتت الشرائع السماوية بمجازاة أولي الجرائم * وفي كلام الله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب) أي يا أرباب العقول حياتكم بقصاص من يمد ضرره لفرد من أفراد النوع * فان أقصرتم يده بالمجازاة طابت الحياة للنوع العام * وذلك بعدم سريان طباعه في أمثاله من أرباب الطباع الخبيثة الكامنة عن عجز أو خوف في ضمائرهم * فان رأوا اهمال الجرم وبقاءه فى ساحة الامن استراحت هممهم الدنية * لاثارة طباعهم الخبيثة فاضروا بالنوع * وكان السبب في ذلك اهمال شخص منهم * وهذا باب وسيع فاذا رأينا الحاكم الشرعى حرف حقاً أو الحاكم النظامي عدل عن الصواب * أو الجندي رغره شأنه * وما هو عليه فتمادى على فرد من أفراد النوع أو الجار على الجا

أو التاجر على المشتري * أو كل فرد علا أو سفل * تعدى الحد الذي حده
له العقل السليم والشرع القويم * فهنالك نعلم ان اهمال ذلك المتعدي * وان
كان في ظاهر الامر * هو عبارة عن اهمال فرد * تعدي حد الحق
والانصاف بشأن فرد آخر لاغير * انما ينتج ذلك الاهمال له هزة في طباع
أولى النفوس الخبيثة والطباع القبيحة * فيتهجم شرار الطباع على الناس *
فيختل نظم العدل الذي أمر به الشرع والعقل وينغص عيش النوع وتنكد
حياتهم * فلذا وجب شرعاً وعقلاً * اقصار يد المتعدي بسيف الشرع والعقل
اقصاراً يناسب فعله * ولا يتعدى العدل بالجزاء ايضاً فتدبر * ومن حكمة
هذا الشأن * تعلم آداب الانبياء عليهم السلام بسياسة جماهير العالم وبذلهم
بهممهم الطاهرة النفع للنوع الآدمي في كل حال * ومن مواد العمل السعى
لجلب المال الصالح بالطريق الصالح * ليصون المرء مجده ويطيب عيشه
ويقوم بصيانة أهله واولاده ومن يعول * وليبذل بره للمحتاجين والمستحقين
من نوع الآدمي الذين أقعدهم الحظ أو طرأ عليهم عارض بدني حطهم
عن جلب المال الصالح بالطريق الصالح * وقولنا الصالح أي الحلال الذي
يكون اكتسابه بطريق الحلال كالتجارة التي لاتشاب بحيلة أو دسيسة أو
مايوجب غبناً وضرراً لاحد من الناس * وكالزراعة والصناعة والاساليب
المقبولة لدى أهل العقول ورجال المعقول والمنقول * واذا تدبر العاقل الحكيم
* أمر الشرائع السماوية بالصدقة وايتاء الزكاة * علم الحث على جمع المال من
الحلال * واستهلاكه فى الحلال * وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي طيب الله
مرقده ونور ضريحه في حكمة الزكاة مانصه * هذه الزكاة بر الصالحين وكنز

العارفين * تعطى من الحلال للذين قسم الله وكلمة الزكاة ناطقة بكاية معانيها باقتناء الحلال * وطلبه من الطريق المرضى تامر بمعناها المقصود * بالتجارة والزراعة والصناعة * وطرح البطالة والتعاون في الله * الى ان قال قدس الله روحه * الزكاة ملزمة بشكر النعمة * جاذبة همم اهل الفاقة * للسعي الصالح وطلب الرزق * وفيها من اسرار العلم بالله حكم آخر تصلح لاهل النهاية * وقال عطر الله مرقده في الحس على العمل مانصه * احترف بما تصل اليه قوتك ويبلغه امكانك ادنى حرفة من الاعمال والصنائع * فيها لو فقهت أشرف صنعة درج عليها أهل الهمم * وهي الترفع عن نوال زيد وعمرو * ركوناً الى كرم الله سبحانه * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان الله يحب ان يرى عبده تعباً في طلب الحلال انسجوا وشي صنعاء وبز فارس وخز اشبيلية بين اروقتكم بهذه القرية * واجمعوا بين صنائع العرب والفرس والروم * وتصدقوا من كسبكم على اخوانكم حلالاً طيباً * والبسوا وكلوا مما رزقكم الله * (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) الطيبات لله * اذا اكتسبت من حلال واهلكت في حلال * قال سيد أهل الهمم صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المؤمن المحترف * أكره ماتراه العين رجل عليه سيما الزاهدين وهمته همة السائلين * انتهى كلامه الشريف * ومنه فهمنا ان آداب الانبياء عليهم الصلاة والسلام * تحث على كسب الحلال واهلاك المال بالحلال * وعلى النفع لبني النوع بصدقة المال * وتحرض علي عدم البطالة وطرح السؤال * وفي ذلك اشارة لعلو الهمة * فان علو الهمة من الايمان والا فمن قام لجمع المال * كحاطب ليل يروع

يميناً وشمالا ويلتقم الدرهم والدينار من كل اناء طهر او خبث * فلا شك ان ذلك المرء من الذين يضرون النوع الانساني * ولا فرق بينه وبين قطاع الطريق * بل هو اقبح منهم حالاً واسوأ سبيلاً * لان قاطع الطريق لم تبلغ قدرته سلب الالوف * من الدنانير وهو بزي الامير على السرير * وذلك الطماع المحتال * تديسلب اموال الناس * ويضر بمصالح الهيئة الاجتماعية * وهو على سرير دعوى المدنية * والتصدر بدست الشرع والانسانية ومثله يجب التنبه اليه * ودلالة افراد الهيئة المجتمعة عليه * والاخذ على يده لكيلا يضر الناس * ويلعب بهم محتالاً تحت رداء المدنية والانسانية * وهو بنظر أولى الحكمة كالحيوان المفترس أو الحية المسمة * ولله در سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي الرواس عطر الله مرقده وقبره * فانه يقول بمثل ذلك الخب المحتال ويرشده الى طريق اهل الكمال

كم تدعي سيرة الانسان متخذاً طبع البهائم طبعاً دعه واعتبر

خلقت للعلم بالباري وحكمته لتنفع الناس لا للبغي والضرر

لين طباعك بالتهذيب صاح فقد يؤثر الحبل فى القاسى من الحجر

ومن مواد العقل تنقية الخاطر . من الضغائن للناس وتحلية الضمير بالالفة والمودة . لعباد الله تعالى وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه . لايكون أرذل من امرء ليس بينه وبين عباد الله الفة ومحبة ولا بدع . فتنقية الخاطر من الضغائن . هو ان يمنع بالعقل الفكر . عن الاشتغال بجسس أحوال الناس . ولا بأس بالتحسس . والبون بين التجسس . والتحسس بين فان التجسس تنقيب أحوال الناس . واستقراء معائبهم . وطلب الوقوف

على مثالبهم . والتحسس مجرد الاطلاع . على حال الرجل . فان رآه المتحسس الحكيم العاقل الكريم . براً كريماً والاه . والا فانه يباعده مباعدة الكرام فانهم ان ابتعدوا عن المرء أهملوا ذكره . وأرادوا بذلك ستره واكتنفوا شره . وأما اللئيم فانه اذا باعد فجروا اذا قرب غدر . وفي تنقية الخاطر من الضغائن . معنى لطيف يشير الى تحكيم أمر الارتباط .بالنوع كما هو المعروف من آداب الانبياء عليهم الصلاة والسلام * وهو زبدة ماتنتهى اليه عزائم العقول ومن مواد العقل الانصاف في الاقوال والافعال * ومتى المرء انصف قبل كلمة الحق * ورجع عن الباطل وما اصر على ظلم * ولا ترفع بشأن من الشؤن بغير حق * يتقلب مع الحكمة فهو معها أين كانت والمغلوب الذي لا انصاف له * يقول الباطل ويصول به * ويرد الحق ولا يحب اهله * ويثبت على الباطل ويكابر * ليجعل باطله بنظر الواهمين حقا * ومن سر العدل الالهي * في مثل ذلك الخبل الدني * انه يقام بمنزلته * بمقام حمار الرحى غايته مبتداه * وفي كلام سيدنا الامام الرفاعى نور الله مضجعه * الحق مكور تحت ضلوع الخاصة والعامة * المحق منهم والمبطل * ومن سر كلامه العالي * يفهم ان المحق والمبطل * يعرف الحق فيقول قلب المبطل بالحق * ولو غاب لغرضه وحرف الحق لمرضه * ولا عجب فالباطل ظلمة * كيف صور والحق نور كيف حجب * ولابد من بروز نور الحق * وعند بروز النور تمحى الظلمه * وتتعين الوان حقائق الاشياء * وقد قال سيدنا السيد محمد مهدى الصيادي الرفاعي * قدس الله روحه مقتبساً

أبدي الباطل ليلاً لكن * أحكم نور الحق شروقاً

جاء الحق وزهق الباطل　　ان الباطل كان زهوقا

فالانصاف أدب الانبياء عليهم الصلاة والسلام * والانحراف عنه طور أولي البغي فالانصاف طريقة الى القلب والعقل * على متن الهمة العالية وله طرق كثيرة فرجل ينصف يأخذه الى الانصاف خوف الله * وفي الآثار الشريفة رأس الحكمة مخافة الله * ورجل يأخذه الى الانصاف الحياء ورجل تأخذه الى الانصاف الرحمة * ورجل يجمع بين الحياء والرحمة والخوف من الله والهمة ومثل ذلك الرجل فهو من أولى الوراثة الصحيحة النبوية ومرتبته في الانصاف أشرف المراتب * وأما البغي فطريقه الي النفس الامارة الشهوة والهوى السائر على متن الغرور ونسيان الموت * ومن طرقه عدم الحياء والانسلاخ عن محاسن البشرية * والمغلوبية لسوء الطوية والسقوط بقيود الطباع الردية * وفي كلام بعض الحكماء كيف ينصف الباغي وهو عبد غرضه ولي كلمات فيهن فكاهة لطيفة * ومعان تناسب المبحث شريفة قلت

بئس الحبيب أخو التلون غادر　　ابدى الجفا وعلى الصديق تغرضا
ينساب كالحرباء ان أغضبته　　نقض العهود وخان أيام الرضا
ولبئس من ان لم توافق قصده　　يجري على زور ويذكر ما مضى
مات الكرام وقد مضت ايامهم　　أواه لو عادوا وداجيهم اضا
والآن نحن بامة لو عورضت　　أغراضهم بهتانهم ملأ الفضا

ومن هذا التمهيد تعين ان الانصاف * من آداب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكل طرقه الي العقل والقلب شريفة * والبغي من أطوار أولي الشر وكل طرقه الى النفس كالشهوة والهوى خبيثة * والعاقل من ترفع عن الخبث

وتحقق بالسيرة الشريفة * بلى ان الترفع عن المساوي الى المحاسن لايمكن الا بتجريد الهمة الى المطلب الاسنى وبجريد الهمة يحتاج الى مسامرة العقل وتلك هي التذكر قال تعالى (وذكر فان الذكر تنفع المؤمنين) والتذكير يكون من المرء لنفسه ومنه لغيره * ويقال من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ * فاذا جرد العاقل الهمة بالتذكير * فترفع بها المساوي وتحلى بالمحاسن أضاءت بصيرته * فعرف الحق حقاً واتبعه وعرف الباطل باطلا واجتنبه وحينئذ يكون هو المنصف الكريم * والعاقل الحكيم ومن مواد العقل الوقوف في كل شيء مع حقيقته * فان الحقائق لاتتغير وقد قالوا حقائق الاشياء ثابتة * والقول بتغير الحقائق وهم فان الحقيقة عينية مادتها سالمة * ورقيقة معناها دائمة ولكل حقيقة معنى * فالمعنى هو الحاكم في شأن الحقيقة المغيب وهو الشأن الذي يدركه العقل من حيث فحواه * كشف أو لطف علا أو سفل وفي كلام الامام الرفاعي نور الله مرقده * لا تصنع في الخلوة ماتستحي منه في الجلوة ولا تجعل الحقيقة شاهدة عليك * ولا تخف اذا حرفها الكاذبون ومن سر كلامه العالي يفهم ان المعاني لها صور * وان صورة معنى الحقيقة يقوم مقام الشاهد المحسوس * فاذا أراد الكاذب تحريف الحقيقة عن حكمها الحقيقي على أي وجه كان كذبته صورة معنى الحقيقة ولا بد ان يسمع صدى الحقيقة * رغماً لتمويه الفاجر والمحرف والخاسر * ورب صوت غيبي أشد تأثيراً في الاسماع من صوت حسي * وكم من مجرم ارتكب عظيمة لم يطلع عليه أحد من البشر * واطمأن باله فيها زاعماً خفاءها فاظهرتها الحقيقة بسر الصنع وأوقعته بشرك المحنة * وقد حذر النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم من

ذلك فقال * من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ان خيراً فخير * وأن شراً فشر وقال حكيم الحقائق مغيبة مرئية * وفي الأمثال للحيطان آذان وفي كلام الامام الرفاعي رضي الله عنه رب ساكت ناطق ورب حال أغنى عن المقال وقال الشاعر

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا فنحن سكوت والهوى يتكلم

وفي الاشارة لهذا المعنى قد قال سيدنا السيد محمد مهدي * الصيادي طيب الله مرقده وقد أعرب وأغرب وأتحف وتلطف

أقصى رفاقي رحلي والهف قلبي المتيم
لو كنت والله فيهم صاع العزيز تكلم

والوجود العقلي مرتبته فيها هذا السر * فان لسان المعنى في الكاس يقول انه لشرب الماء * وفي الباب يقول انه للدخول وفي الدرج للصعود وفي الرداء للاكتساء وهذا حكم الاشياء كلها فتدبر * واجعل حقيقة ذاتك نيرة وحقيقة عملك طاهرة وبعدها قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون * وفي بروز الحقائق المخفية بصورة جلية سر لطيف * من اسرار الكيان وذلك ان الوجود العام * مع كثرة مفرداته يعد مادة واحدة وهي الفضاء البحث الجامع للمفردات * فان ذرات المفردات وان زعمت الانفكاك بنفسها وان كل ذرة منها على حدة لا اتصال لها بالوجود العام * فهي متصلة به وفي فضائه ومنه وقد زلق لدقة هذا المعنى * أهل الوحدة المطلقة فمزجوا والعياذ بالله وجود الصانع بالمصنوع * وهذا حمق وزيغ نعم الوجود المصنوع العام * لما ارتفع عن مرتبة التفاوت * وقف في مرتبة المصنوعية كالجزء الواحد * (ماترى

في خلق الرحمن من تفاوت) فالابعاض من الذرات ملحقة بأصل الطينة * وكلها مصنوعة له سبحانه ولا مجانسة بين المخلوق والخالق * لا في الذات ولا الصفات ولكن المجانسة بين ذرات المصنوعات حاصلة * والامر ظاهر لايحتاج للايضاح فان ترى ذرة من المصنوعات علوية أو سفلية * الا ولها نوع مجانسة مع الانسان* ولذلك قال تعالى في الكتاب العزيز (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وفي كلام سيدنا الامام علي المرتضى * كما تقدم يخاطب الانسان وفيك انطوى العالم الاكبر* وقد سخر تعالى للانسان ما في السماء وما في الارض لحكم المجانسة * فلهذا السر أضحت الحقائق مهما أخفيت واضحة ظاهرة بسر الوضع الالهي * والذي يمنع العقول الجامدة عن فهم هذا انما هو الجهل بسر الصنع وحكم الشرع * وقد شرف بعض الوجود على بعض * كما شرفت العين على كعب الرجل والقلب على لبة الكتف واللسان على الاذن * الى غاية ما يلزم ان يقال وهذا من آداب الانبياء عليهم الصلاة والسلام * التي أفيضت للتهذيب الى العقول الكريمة والقلوب السليمة * فمن فهم سر هذه النكتة الجلية جعل خلوته جلوة * فكل ما رآه بعين العقل يعمل في الجلوة تراه يفعله في الخلوة والذي يراه لايعمل في الجلوة * لايعمله في الخلوة ولهذا اذ أقام الخابط بزوره الممحوق بنار غروره * يريد بشقشقته ولقلقته ان يغير حقيقة * ويدخل الباطل على الاذهان بصفة الحق صرعته الحقيقة فاهتزت الاتصالات المرتبطة بالوجود العام * هزة فسقط منها على عقول أهل العرفان * ووقع منها على الباب أرباب الذوق والوجدان تكذيب المحرف وتبرئة عرض المظلوم المفتري عليه * وقال لسان الحقيقة * ان المحرف لكذاب *

فهذا يتأول بالحكمة والنظر * وهذا يستدل على العين بالاثر * وهذا ينظر الى منبع الخبر وتبرز معاني الحقيقة للكل بقوالب الصور ويقوم من الغيب للحقيقة أنصار * فتنمحق اكاذيب المحرف ولو استعان بالألوف وانتصر بالصفوف * فتدبر هذا السر ونم مع الحقيقة أميناً والله المعين * ومن مواد العقل استكثار الاصدقاء مهما أمكن والتباعد كل التباعد عن معاداة أحد من الناس * وهذا الشأن من أجل آداب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام * وفي الخبر هل أحسنت الى من أساء اليك هل عفوت عمن ظلمك * ومن الآثار الكريمة * رأس العقل التودد الى الناس * وقال الشاعر وان عدوّاً واحداً لكثير * وفي كلام سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي طاب ثراه * خذ المتورب بالصبر ولا تعجل بالعداوة وتحمل حتى يصل الى درجة البغي عليك وهناك فانتصر لنفسك ولا تتعدى حد الله * تعد حينئذ في عداد ﴿ الذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ فان تحققت بالانتصار لنفسك مدافعاً عن نفسك غير متعد حدود الله نصرك الله وخذل عدوك ومحقه ولو بعد حين * وان قدرت أن تترك الانتصار الى ربك فافعل وتغنم * ففي كلام سيدنا الامام الاعظم الرفاعي أعزنا الله ببراهينه من انتصر لنفسه تعب * ومن سلم الامر لمولاه نصره من غير عشيرة ولا أهل * انتهى كلامه العالي * وهو في غاية الحسن * وان من أعظم الدلالة على العقل وضخامة جوهريته شدة القعود عن عداوة الناس واما الشريع الوثوب باستجلاب نفرة الناس وعداوتهم بالقول أو الفعل فهو ممحوق الرأي مختل العقل * وربما رأى فرصة وهمية ساعدته على حظ نفسه وهواه في أمر العداوة * فشقشق ولقلق في حق من عاداه أو تمكن

فآذاه * فان تلك الفرصة ستتبع بغصة تنسيه ما كان فيه وتقلب لبابه الى حواشيه * وسيأتيه زمان يتمنى الموت فيه * ولا بدع فان من شمر ذيله لعداوة فرد من الافراد بلا سبب وحق شرعي لا بد وان تشمئز منه قلوب أهل الحق * وهذا شأن فيه انتصار الهي للمحق على المبطل من حيث لا يعلم * وغاية ذلك المتهجم السقوط ولو ارتفع والشتات ولو اجتمع * ومن الغريب ان الممكور يصرع ولا يعلم ويصل الحضيض الادنى ويزعم انه في الرفرف الاعلى * فعلى العاقل الحكيم استمالة القلوب مهما امكن والتباعد كل التباعد عن تنفيرها * فان المنفر منسلخ عن وصف جليل من أوصاف الانبياء * وهو جمع القلوب على الحق * وهذا لا يكون بالغلظة والفظاظة * وقد وقع جدل في مسئلة خلافية بين رجلين من العلماء في حضرة سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي أعز الله برهانه * فلما طال بينهما الجدال وكل منهما على صاحبه استطال * التفت اليهما السيد المشار اليه رضوان الله عليه * فقال كنت أظنكما من عقلاء العلماء ومن علماء الحكماء * والآن أقول الحق لستما كذلك * فان المذاكرة لا تندفع الى المنافرة والمناكرة * اذ العقل يمنع عن ذلك * واتفق العلماء على أن الله تعالى لا يعذب على أمر اختلف فيه العلماء * وهذا معنى الخبر اختلاف أمتي رحمة * والمنافرة والمناكرة من أسباب الهجر وقول الهجر وتلك من دواعي الغضب * فاجتذاب الغضب من قلب الرحمة حمق من دون ريب * وقد منع الشرع أيضاً عن ذلك فشيء منع عقلاً وشرعاً لا يقدم عليه الا الأحمق * وقد كان السلف يتناظرون الايام حتى يصب بعضهم الدم * ولا يفوه أحد منهم بكلمة تنافي أدب المناظرة

وتباين شرف المحاضرة * وما أدب المناظرة الا دفع نقل بنقل واستظهار على حجة بأحق منها والخروج عن هذه الحيطة خروج عن المناظرة الى المخاصمة وهي أعنى المخاصمة من طباع الاخشان * والقاعدة تقضي بأن المتورب في المخاصمة الذي يندفع من حجة باطلة أو منقوضة الى غيرها * ثم الى غيرها فهو مغروض والمغروض لا كلام معه انتهى * فانظر أيها اللبيب حكمة هذا الكلام الشريف العجيب واستفد وانتفع * وهنا لطيفة قلت

شر الاحبة صاحب الأغراض والمكثر التعنيف والاعراض
وأشر منه المزعج الشرس الطبا ع أخو الفجور ممزق الاعراض
والسيء الاخلاق والخشن الذي تلقاه كيف صنعت ليس براضي

وحيث قد ثبت فيما تقدم ارتباط الوجود الخاص بالوجود العام من حيث مادة الوجود بكنهها * ودليل ذلك ان الوجود الخاص لا يقوم بغير الهواء والماء والطعام والوطأ والغطاء والشمس وهو ذرة مستقرة على بساط الكرة الأرضية يأخذ سمعه وبصره وحاسته وطاعمته وشامته من كل ما يناسب كل ذلك من الوجود العام حصته ويأنس بالنوع وينبسط للضوء ويدهش بالظلمة ويقوم من مادة لقاح مشتركة وتلك من مثالها الى غير ذلك من البراهين القاطعة التي لا تقبل المدافعة * فعلى هذا ترتب عليه الارتباط بطبعه في كل طور حسن وقول لين وفعل ممدوح وطور نافع بالوجود العام * ومتى صح له هذا الأدب الصالح فقد تبرء بطبعه من عداوة الناس وحسدهم واذيتهم وكرمت خصاله وطابت خلاله وحسنت فعاله وشرفت أقواله * وقد نرى أناساً بلغوا بكمالاتهم العلمية وفضائلهم العقلية وتهذيباتهم الشرعية هذه

المرتبة ولم يسلموا من الاعداء والمتهجمين وصنوف المارقين والخواضين وأولي الزيغ المحرفين والخابطين والخالطين وفقه ذلك ان أولئك الفرق السيئة * لما اتصفوا بصفات السوء وعلموا ان مثل أولئك السادة الكرام لمحاسن أخلاقهم وعلو مداركهم هم أعداء مشاربهم اللئيمة واضداد أخلاقهم الذميمة انتهضوا بسائق طباعهم المرذولة لمعاداة أولئك الحجاجج * بلا سبب ظاهر خوفاً من تسلط أخلاقهم الكرام على أخلاقهم وحرصاً على بقاءهم في بحبوحة سفههم وسفاسفهم ولستر ذلك المقصد اندلعت ألسنتهم الكلبية بالنباح والعوعوة على أولئك السادة الكمل وراحوا بزعمهم تظن مخيلاتهم الفاسدة وأوهامهم الباردة انهم حطوا من مقادير الكرام وأسقطوهم عن منار مجدهم ومنصة فضلهم * والحال ان نباح الكلاب لا يسقط البدور ونفخ الأفواه لا يطفئ من شمس الله الطالعة النور * والكلمة تعتبر بفعل قائلها وحاله وشرف مدركه وكماله * وينظر فيمن قيلت ولأي حكمت وضعت وعلى متن أي غاية برزت ولاجل أي مكيدة دبرت * وهنالك وتجول للحكم بها عقول أولي الالباب وتتسلط الهمم على تكذيب ملفقيها من كل باب ويقوم لذوي المجد من بطن الغيب أنصار شطت بهم الدار ولو من جنس آخر وأمة أخرى ولغة ثانية وشعوب قاصية ويحمي الله حماهم ويصون بيد العدل الالهي علاهم ويخذل الكذابون ويخزي الفاجرون ويبدو السر المصون المطوي بين الكاف والنون * فمن أمعن النظر بهذا السر الخفي والبرهان الجلي رجع عن غي نفسه وفرق بين يومه وأمسه وتهذب بتهذيبات الشرائع السماوية وقيد طباعه لنفع النوع العام عملاً بالحكمة الربانية وأخذ العلم من أهله غير مستكبر ولا متكاسل * وعلم

سر الحكمه بالدلائل والتصق بأهل الفضائل وتباعد عن أهل الرذائل * وسلم بالحق لاهل الحق وهذا شأن كل محق ومن مواد العقل أخذ كل رواية مسموعة باذن الرد ووضعها في صحيفة الانتقاد وتحقيق حكمها قل أو جل بمحك التبين عملاً بقول الله تعالى في الكتاب العزيز * يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهاله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * لأن الروايات تبرز على الالسن بنسبة العقول * فالعقل المغلوب للغرض المقيد بالهوى المحجوب بكثافة الطبع لا يصدر عنه الا الكلام الرذيل * والروايات الفاسدة اذ غاية همته البذاءه والسفالة * فاذا لم يتثبت العاقل عند سماع نباه يزلق وهنالك يصيب قوماً بجهالة * فيندم في الدنيا بالخجالة بعد بروز نور الحقيقة التي لا بد وان تظهر ولو من وراء ألف حجاب * ولو في الآخرة بالحساب والعقاب * وما ألطف قول سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي نور الله ضريحه في هذا المعنى وهو

خذ عن أخي الزور الكذوب جانباً ... ولا تر الفاجر يوماً صاحبا
يسقط نابح الفجور هاوياً ... ولو سمواً نطح الكواكبا
دع كل ما يرويه مطروحاً فهل ... يصدق البر الصدوق الكاذبا
فكم على بعد المدى وقربه ... من صدق الكذوب رد خائبا
يشبع غوش الزور نطفة الخنا ... فلا تكن على ابن عهر عاتبا
وصاحب الصدوق واحفظ وده ... فالصدق يعلي أهله المراتبا
والكاذبون الخذي قيد طورهم ... لو جردوا لنصره الكتائبا

وحيث ان السعادة بين الناس بالكذب الذين يشيعون في خلق الله الفاحشة

هم ضرر للنوع الآدمي ألزمنا العقل والشرع بالتبين عنهم * أى البعد عن الفهم والتثبت عند سماع كلامهم * وهو أعنى التثبت رد كلامهم عليهم * والاعراض عن شقاشقهم فهم عصبة فساد وزمرة أفك * وعناد تفسد بصحبتهم الاخلاق وتمر الرغبة بهم الخلاف والشقاق * وفي الآثار من نم لك نم عليك * وعلى العاقل الحكيم هجرهم وكأنهم أموات * لان الكلب اذا عض لا يعض ومن انسلخ عن مزية الارتباط بالنوع العام وانحرف عن نفعه وهجم على فرد من أفراد النوع بالأذية والأساءة * فلا فرق بينه وبين الحيوانات المفترسة والدواء عدم الدنو منه وتمام الاعراض عنه بهذا أنبأنا الشرع والكتاب * وعلى ذلك اجماع أولي الالباب * ومن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر * يجب بحكم الشرع قمع المفسدين وازالة شرهم عن أفراد النوع العام * ولذلك أحكام وهي في كتب الشرع مذكورة ومقررة مسطورة * ولعدم الخروج عن البحث الذي نحن بصدده اكتفينا بالاشارة لتلك الاحكام * وعلى أهل العلم والعرفان السلام * ومن مواد العقل قبول رواية الخير ان لم تمزج بملق ومداهنة واطراء فقد نهى عن قبول الاطراء الشرع والعقل * فان المدح للرجل أو نقل مدح غيره اليه محدود وحده موافقة الحق ومباينة المداهنة والملق * فاذا مدح المؤمن بحق يربو الايمان في قلبه واذا مدح بغير حق فكأنما ذبحه المادح بغير سكين * كذا أفادنا الشرع الانور وشاهد هذا عقلي لا يجحد ولا ينكر لان المدح بحق يهز الممدوح الى الثبات على العمل الصالح الذي مدح لاجله * بل ربما ازداد اشتغالاً بالاعمال المرضية * وأما المدح بغير الحق فقد يطمع الخبل فيظن بعد المدح بنفسه ما لم يكن لها بحق

فيطغى ويطيش * وهناك فكأنه ذبح بغير سكين وهذا حكم سماع الكلامين فاعمل به ترشد * ومن مواد العقل الجهاد في الله * وذلك على أقسام باليد والمال واللسان والهمة وكله يؤل الى نفع النوع العام * ومعناه ارجاع أرباب الجموح والبغي الى حدود الآدمية فلا يعبث فرد من أفراد النوع بفرد آخر ولا يرشقه بسهم أذية لا قولية ولا فعلية * وان الحكيم العاقل يرى لنفسه على الناس ما يراه للناس على نفسه * فمتى تعدي هذه القاعدة فهو باغ عاد وفقه ذلك انه كما ان نفسه لا تريد ان يأخذ أحد ماله * فهو أيضاً لا يصح له ان يأخذ مال أحد وكما انه لا يريد ان يؤذى ويساء أو يضر ويهان أو يبغى عليه بحال من الاحوال * فكذلك لا يصح له اجراء شيء من ذلك مع أحد من خلق الله تعالى * وعلى هذا قامت أوامر الشرائع السماوية والبراهين العقلية والاستدلالات النظرية فعلى العاقل الحكيم اذا أراد الجهاد في الله بيده أو لسانه أو ماله أو همته ان يحكم أساس جهاده على هذا المتن العالي * وهنالك فهو منصور ولو غلب ومؤيد ولو سلب ونهب يعلم ذلك أرباب العقول العالية * وفي هذه الحيطة الكريمة * قام حكم الجهاد في الاسلام * وذلك لاجل حفظ النفع العام للنوع العام لا كما يفهم من لا يفهم ويتأول من لا يعلم أوضحت لنا ذلك الآيات القرآنية والدلالات النبويات * وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي عطر الله مرقده ونور ضريحه في هذا الباب ما يداوي العليل ويشفي الغليل وسأنصه لك أيها المحب فخذه وكن من الشاكرين * قال أعز الله برهانه * الجهاد سر من أسرار الله افترضه الله تعالى على الامة لا لغرض من أغراض الدنيا ولا لعرض من أعراضها * بل هو لاعلاء كلمة الله لا غير ان اعرابياً أتى

النبي صلى الله عليه وسلم * فقال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا * فهو في سبيل الله * وقال له آخر ثلاث مرات رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي من عرض الدنيا * فقال له أيضاً في كل مرة من الثلاث لا أجر له * فاذا جاهدت في الله بنفسك أو بمالك أو بلسانك * كن مخلصاً صابراً محتسباً وإياك والميل للعرض والغرض فانك تفسد عملك * ولتكن في كل أمورك نفعا عاماً حتى تصلح للدخول في حضرة الحق * والا فلست بداخل في الحضرة انتهى * وقال شيخنا السيد محمد مهدي الصيادي الشهير بالرواس قدس الله مزاره وأسراره في كتابه طي السجل * قد أمرنا سيدنا صلى الله عليه وسلم باخلاص النية في الجهاد لا للعرض ولا للذكر * بل للتحقق في طلب الآخرة * وان لا نبغي في الجهاد عرضاً من عرض الدنيا * وبين لنا فضل الغزاة * اذا لم يغنموا * وهدانا بأمر الله الى سواء السبيل * لأن الجهاد الدعامة الكبرى لاقامة أركان الدين * فاذا شيبت بطلب الدنيا انفكت عن الدين * وهنالك تسقط دعائمه والعياذ بالله تعالى * ولا ينبغي لأحد من صنوف المجاهدين في الله باللسان أو بالمال أو بالجاه أو باليد والسيف ان يدنس عمله بكدورة شيء من الدنيا وأغراضها * ولا ان يدخل في عمله غباراً من النفس وأمراضها ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ انتهى ومن هذه النصوص الشريفة علمنا أن الجهاد لم يكن للدنيا ولا لغرض من أغراضها * وانما هو لله * ولما كان الشرع الكريم كافلاً لراحة الانام واقياً

للناس من شرور الطغام عاصما لنظام التوحيد حافظاً حكمة الاحكام التي جاء بها القرآن المجيد وكلها العدل والانصاف ومحو ثائرة الظلم والاعتساف وحقيقة الجهاد * انما هو للامر بالمعروف والنهي عن المنكر واطماس نيران العدوان وانامة كل فرد من الانام بمهد الامان * وهو من آداب النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام * ألزم الشرع بالجهاد لحفظ هذا النظام الجليل ولوقاية هذه القواعد التي أيدها العقل والدليل والسنة والتنزيل * فمن عرف سر الجهاد * وعلم أنه لله لا للاغراض وأنه لاعلاء كلمة الله ولوقاية خلق الله * ولتمهيد العدل والامان وهدم قواعد الزيغ والظلم والعدوان * رأى ان هذا الحكم الكريم محض خير ونفع للناس وبركة واطمئنان وعرف فضل الجهاد وأهله * ولا يفهم هذا السر ويقول به سوى الموفقين من أهل حق اليقين والله الموفق المعين * ومن مواد العقل المحافظة على أحكام الدين المبين بالعمل والاعتقاد * فان الدين المبارك المحمدي لم يأتنا بعمل يشق على الوجود الكثيف ولا باعتقاد يأباه العقل اللطيف * بل الاعمال فيه تحت الطاقة والمعتقدات فيه لا تخرج عن دائرة العقل * وما أحسن ما أورده الامام الرفاعي أعز الله مقامه في البرهان المؤيد ونصه كل عقل لم يحط بالدين فليس بعقل * وكل دين لم يحط بالعقل فليس بدين * وفي الكتاب العزيز ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ولما كان الدين الانور المحمدي معدناً للحكم قائماً بكل شأن يصلح أمور العباد في معاشهم ومعادهم * وكل عقل نير يسلم بذلك وينجذب اليه بالطبع * قال تعالى ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ وأما القتال الذي وقع في عهد سيد الانام عليه الصلاة والسلام * فهو في الحقيقة دفاع عن الدين *

فان القوم غلاظ شداداهل جفوة وقسوةوقدصعب عليهم ان يتركوا عبادة الشمس . والقمروالشجروالحجر . وان ينزعوامن اعناقهم اطواق عادةالجاهليه كقتل اولادهم خشية الاملاق . ودفن بناتهم وهن فى الحياة . وغير ذلك من الموبقات التي تلين لها الحجارة . وقد هموا بخيلهم ورجلهم على ازالة نور الحق واطفائه . وعلي اطماس لامع الدين المبين وامحائه . فاعز الله بنصره عبده ونصر جنده . وايد به كلمة الحق وحده اليس الله بكاف عبده بلى ظهر السر وجاء النصر وثبت الامر . ومزق الله اهل البغى كل ممزق وعلة كلمة الله . ولا حول ولا قوة الا بالله .فكان القتال اعنى الجهاد . الاول دفاعا عن الدين . وذلك لتكون كلمة الله هي العليا . لالغرض كوني مطلقاً وقد تقدمت بذلك الاخبار الشريفة . وبعد ان أيدالله الدين . وشيد به منار العدل والامن فى العالمين . فمن بغى وطغى . ورام هدم مناره . وسعى لارجاع أمر الظلم النفساني . واستقراره . قوتل . فارجع عن بغيه . وردعن غيه . حتى يفئ الى أمر الله قال سيدنا الامام الاعظم * والحكيم المقدم سيد الطوائف أبو العلمين السيد أحمد الرفاعى * أعلا الله مناره ونور مرقده ومزاره * مانصه أي سادة والله ماأظن ان على بساط الغبراء صاحب عقل يميز فيه بين الخبيث والطيب الا ويعتقد قلبه ويذعن لبه ان العبادة التي شرعها الحبيب * عليه أفضل صلاة الله وسلامه والعادة التي كان عليها هى الحالة المرضية عندالرب والخلق وهى الآداب المقبوله عندالخلق * والمحبوبة عندالمخلوقين وبها يطمئن القلب ويسكن الروع أي فرق لايدركه العقل * من حال المخمور والصاحي ومن حال السارق والامين رمن حال الكاذب والصادق ومن حال الزاني

والعفيف ومن حال المتكبر * والمتواضع ومن حال البخيل والسخي ومن حال الظالم والعادل ومن حال المبطل والمحق ومن حال المغتاب والبريء . ومن حال الغادر والرحيم . ومن حال العابد والنائم . ومن حال الغافل المتفكر . ومن حال الفاجر والبر . ومن حال الكافر والمؤمن . (ان في ذلك لآيات لأولي الالباب) الله الله بالمتابعة المحضة لهذا الرسول العظيم . الذي جاءنا رحمة للعالمين وحجة على المخلوقين ونعمة للموحدين . انتهي كلامه العالي وفي تدبره بلاغ . وان الحكم الديني الزمنا بالنصيحة لكل احد من افراد النوع الآدمي من أي ملة . كان وعلى أيـ مذهب ومعتقد كان واذا تجرد لمجادلتنا وكان من أهل الكتاب . امرنا ان نجادله بالتي هي احسن . ونص قوله تعالى (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هى احسن) على ان احقية الدين المبين ظاهرة ثابتة بحكم العقل . وان العقل النير ميزان الشؤن كلها . وما الاختلاف الا من احد اسباب اربع . الاول اعتقاد المرء بطلان ما عليه المسلم . واحقية ما هو عليه والثاني جهله . بحقائق احكام الدين الاسلامي وحكمه والثالث التعصب لمذهبه ومشربه . التعصب الاعمي الذي لا يريد معه الوقوف على حقيقة . والرابع التردد عن حياء او عن خوف ذهاب مال او فراق عيال . والا فلو نظر الرجل المهذب العيسوي . ورای ان الدين المحمدي. أمر باعظام شأن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام . وباحترامه واجلال شأنه واكباره القلب واللسان . وشهد انه من روح الله وانه كلمة الله التي القاها الى مريم عليها السلام . وان تحقيره بلفظ واحد والعياذ بالله كفر وان الثناء عليه. من الدين. ومن موجبات الثواب عند المسلمين وكذلك الموسوي وغيرهما . ممن يقول بالشرائع

السماوية والكتب المنزلة الربانية . وان الشريعة المحمدية مؤيدة لشرائع ساداتنا الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام . جامعة لآدابهم والاخذ بها اخذ بجميع شرائع المرسلين عليهم صلوات رب العالمين . وامعن النظر فرأى ان الشريعة الغراء المحمديه أعم آداباً من غيرها . واوضح حقيقه وأجلى حكما وانور طريقة . واتم وفاقاً مع العقل لا تخرج عنه ولا تنافيه ولا تثقل على الطبع . ولا تشق علي الوسع هنالك ان لم يعمل بها . وقوفاً مع احد الاسباب الاربع التى تقدم ذكرها فان العقل والادب والانصاف * كل واحد منها يحثه على اجلال الشريعة واعظام صاحبها * صلى الله عليه وسلم اعظاماً يليق بجنابه الرفيع ومقامه المنيع * ويقوده بالطبع لرعاية المسلمين ولمعرفة مقاديرهم * والا فاذا أخذه طبعه وقادته انفة تعصبه الى احتقار الشريعة وأحكامها * وعداوة صاحبها وامامها ولاهانة المسلمين * والحط عليهم والنظر بالخشونة اليهم فهو من أي ملة كان ومن أي مذهب كان * جاهل بحقوق الآدميه منحط عن محاسن الانسانية متحقق بالبهيمية حالة كونه على طراز البشرية وعليه ان ينظر ان الدين الاسلامي جعل كل من له ذمة من الاسلام كالمسلمين في الحقوق والمعاملات ونص الشرع لهم مالنا وعليهم ماعلينا * وألزمنا باكرام كرام الامم واحترامهم ورعاية مقامهم * فقد جاء في الخبر الشريف اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه * وقول النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر أمير المؤمنين * حين أراد ان يغلظ على يهودي له دين على النبي صلى الله عليه وسلم وقد أغلظ التقاضى دعه فان لصاحب الحق مقالاً يبين شأن الدين * وحسن اعتنائه بحقوق الامم وقضاء شريح في صفين بدرع سيدنا الامام علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه * لليهودي

الذي التقطه وعدم قبول شهادة الامام الحسن وقنبر عبد الامام وإعطاء الدرع لليهودي ورضاء الامير بذلك * مع علمه ان الدرع درعه وقوفاً مع أمر الشرع * وتباعداً عن الغلبة الا بالحق فيه الكفاية لمن يعقل وقد قال سيدنا الامام الرفاعى نور الله ضريحه * هذا الدين أتي باحكام ألزمنا المبلغ عليه الصلاة والسلام * الاجتناب عنها ووعد وأوعد فاذا تريض العقل بالعمل والاجتناب يصل الى الاحاطة بسر الوعد والوعيد * أي لسادة تفكروا هل من عقل زكى قر بطبع سليم * يجهل حكمة الاوامر والنواهي الدينية ويردها لا والله بل كل عاقل زكى العقل سليم الطبع * تعكف أشعة عقله على عتبة باب الامر والنهي علما بجمعها بين خيري الدنيا والآخرة * وما بقي عندكم الا ماجاء في الوعد من فضل الله وكرمه * وفيه ابحاث علية تذكر عجائب قدرته تعالى وما جاء في الوعيد من بطش الله وعدله وفيه ابحاث غامضة تذكر غرائب عظمة الألوهية يشهد على كونها طبعك وحجابك وفهمك وفكرك وكل ما تراه من المشهودات الكونية العلوية والسفليه حجبك عن حقيقة كشفها عدم استعدادك وقلة قابليتك وقطيعتك ودناءة همتك ابن لرياضة التي جلت عن مرآة عقلك غبار غفلتك أين متابعة الدليل الاعظم صلى الله عليه وسلم بكل ماجاء به قولاً وفعلاً وحالاً وخلقاً هات هذه النقود واطلب بعدها البضاعة * أيصح لبواب الملك ان ينكر على جلاسه ما يذكرونه من زينة داره وأمتعة بيته وحسن ألبسته وأوانيه وأسلحته ومخزوناته وشدة عقابه وبطشه فيمن يغضب عليه وكثرة عوائده وفوائده واحسانه الى من يحبه ويقربه * كيف يصح ذلك للبواب وهو

مسكين محجوب بما هو فيه من عقله ان يجتهد لاحراز رتبة المجالسة * كي يرى ما رآه جلاس الملك * هذا أجمل من انكاره أعم مكرمة واحسن حالاً واسلم عاقبة واصلح شاناً انتهي كلامـه العالى . ومن معانيـه الجليلة يعلم ان الشرع ضمن دائرة الوسع * وما يتعلق بالوعد والوعيد معقول أيضاً غيران الذي يمنع عن ادراكه حجاب الجهل والغفلة والبطالة وعدم العمل بما أمر به الشارع الاعظم صلى الله عليه وسلم * وقد قال سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي أيد الله مجده كل حكم سماوي له دليـل في ذات الانسان * وذلك لاقامة الحجة عليه ليرجع في كل شؤنه الى الحق * هذا الوعد والوعيد قام انموذج حكميهما في الرؤيا * فقد يرى الرجل شيئاً لطيفاً ومنظراً كريماً فتطيب لذلك روحه ويجلس بعد اليقظة ناشط الهمة ريض الخاطر * وقـد يرى شيئاً قبيحاً ومنظراً هائلاً فتنقبض لذلك روحـه وتخاف بشريته فاذا استيقظ جلس منزعج الخاطر فاتر الهمة مشوش الفكر * فالرؤيا اللطيفة انموذج الوعد والرؤيا المخيفة انموذج الوعيد انتهى كلامه المبارك بنصه * وهو في غاية الحسن * فان الرؤيا من استكشافات الروح * والروح من الأمر الالهي ولها حظ من الاطلاع على أسرار الكيان حاضرها وغائبها * فاذا جرد عنها العاقل حجاب الوجود بالرياضة والاعمال كما ذكر سيدنا الامام الاكبر الرفاعي نور الله مرقده وأطلع في سماء العز فرقده * في مقالته التي سبق ذكرها أطلعت على أسرار الكيان والرجل مستيقظ وهـذا شأن العارفين المتحققين بوراثة الأنبياء والمرسلين * وان لم يمكن له تجريد حجاب الوجود عنها بقيت محجوبة في القالب * ففي النوم يتعطل حكم القالب وتبقى الروح

مجردة فتطوف في عوالم الكيان بنسبة نقاء سر صاحبها * وحاله عند نومه ومنهاجه في يقظته * ولهذا السر شؤن جليلة نص عليها سيدنا الامام الرفاعي أيدنا الله ببركة روحه قال بشأن الرؤيا ما نصه * أنكر أقوام من أهل البغي والبطلان طيران الروح الى العوالم المقدسة والمعالم العلية وذلك لغلظة حجابهم لو ادركوا انعكاس تلك العوالم للروح حين ينصرف عنها حجاب الوجود بالنوم * وتدبروا نظام الرؤيا لقنعوا بأنموذجها * نعم للخاطر هدس ينقلب شكله الى طارقة الدماغ من طريق الفكرة فيقيم لها مثالاً فتلك الرؤيا الكاذبة تحدث من غلبة خيال أو تعب جسم * أو من اغلاق أبخرة طعام * أو من احتلال طارق سرور * أو خوف ساحة القلب * فهذه الامور يتولد منها الهدس الخاطري وقد يكون من جازم نية * وهذه النكتة فيها فارقة * فان كانت نية غير معينة الكيفية لا رسم لها في لوح الخاطر توطدت بالذكر والعمل المبرور بالوقوف في باب الله والاستفاضة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نية معينة توجهت لكشف حقيقتها الغير المعلومة وجهة الهمة بالاستخارة فالرؤيا هنا رؤيا استدلال * وان كانت قائمة عن جازم ولم توطد بذكر أو عمل مبرور أو استفاضة صالحة * فالرؤيا هنا رؤيا خبط نتج من الجزم وقام مع الهدس فانقلب لطارقة الدماغ وقام لها مثاله وهي كاذبة * وان خلت الرؤيا عن كل هذا مع السلامة من منازعات الشرع ونشأت عن وارد غيبي * فتلك الرؤيا الصادقة التي تصلح للتعبير وهي من استكشاف الروح انتهى كلامه العالي * قلت ورؤيا الرجل من أي مذهب كان * وعلى أي معتقد كان تزان بهذا الميزان * فان كان حالة نومه نام على هدس فالرؤيا خبط

وان كان نومه على تعب وكثرة طعام فالابخرة تنقلب الى الفكرة وتقيم للروح شراعاً من ذلك البخار وفحواه كذب وآخر مراتب الرؤيا التي فصلها سيدنا الامام الرفاعي أعني أن خلت الرؤيا عن كل الأساليب وبقيت على حالة بحتاء وليس معها للرائي حال * ينافي معتقده الديني في الدين الذي هو عليه فرؤياه تصلح للتعبير وقد دلنا هذا التمهيد على استكشاف الروح سر الغيب وعرفنا ان وراء الشهود غيباً وفي ذلك الغيب أسرار * كنزها الآدمي لاتصاله بكل عوالم الوجودات اتصالاً معنوياً رقيقاً واستكشافه تلك الاسرار لا يكون الا بازالة حجاب الوجود * أما بالرياضة الصالحة وأما بالنوم وعلمنا أن الرؤيا فيها مايدل على الوعد الالهي * وعلى الوعيد أيضاً وبذلك ثبت كلما جاء عن الشارع أرواحنا لجنابه العالي الفداء * والامر لايحتاج للاثبات * بالبراهين والدلالات بل أظهر من البرهان والدليل * وأبلج من طالعة الشمس للعاقل الذي يميز بين الكثير والقليل * وانما تلك استدراكات نظريات تقوم لدلالة الواهمين ولجلب الشاردين * والتوفيق بيد الله ومن رقائق الاسرار التي طواها الله تعالى في أحكام الشريعة ملاءمة العقل كما مر الكلام عليه والتسلق الى سدرة القلب * فان المصلي يشهد اذا أدى الصلاة بأحكامها الشرعية أدباً في العقل يلزمه بترك المنكرات * يؤيد ذلك قول الله تعالى في الكتاب العزيز ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ وفي الالف واللام التعريفيه نعلم أن الصلاة اذا لم تكن ناهية عن الفحشاء والمنكر * لم تكن حينئذ بصلاة أي كاملة شرعية هذا ما يكتسبه العقل من الصلاة وأما القلب * فانه يستنير بنور الصلاة الخالصة استنارة ترفع الى محبة الله وتقربه من الله وتنهض بهمته

للاشتغال بصالح الاعمال ولكونها تؤدي في اليوم والليلة خمس مرات فانها ترفع حجاب الغفلة عن القلب * وتجعل العبد ذاكراً لله متذكراً وقوفه في يوم الحساب بين يديه خاشعاً منه * ﴿ وانها لكبيرة الا على الخاشعين ﴾ والمعنى المندمج بنص هذه الآية الكريمة * يفيد أن أداء الصلاة أمر كبير أي ثقيل وصعب ﴿ الا على الخاشعين ﴾ الذين طهر الله قلوبهم من لوث الهوى بالخشوع * فانهم لا يكبر عليهم الاتيان بالصلاة ولا يثقل على هممهم بل ربما زادهم ذلك نشاطاً ورغبة بالصلاة * وبذكر الله وبسائر الاعمال المباركة التي ترضي الله وتنفع خلق الله * ولذلك كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يقول وهو يجود بروحه الطيبة الطاهرة * الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وتدبر فانه بعد أمره بعبادة الله بالصلاة هي أجل الفرائض وعمود الدين * قد أمر صلى الله عليه وسلم بالرفق بالمماليك وبالاحسان اليهم وعدهم عليه الصلاة والسلام من العيال * فقال مولى القوم منهم * فتدبر أيها العاقل سر هذه الشريعة العادلة والأحكام النيرة واعمل بها لتهدي الى صراط مستقيم * واذا تدبر الحكيم العاقل حكمة الشرع ونظام أحكامه وكون الآمر والمأمور والغني والفقير والشريف والمشروف والرفيع والوضيع فيه سواء علم أن هذا الشرع الكريم لم يكن من قبل المخلوق * بل هو من قبل الخالق الذي قال في كتابه العزيز ﴿ ان الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ فقد بذل سبحانه رأفته ورحمته لخلقه بهذا الشرع العالي المنار بواسطة رسوله المختار صلى الله عليه وسلم * ولذلك قال فيه تعالى ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ ولا يزحزك عن العلم اليقين * بهذه الحقيقة ما تراه في الاحكام من جزاء وعقاب * فان

تلك كما تقدم هي لحفظ حقوق النوع كله ولاستكمال راحة الخلق ورد من يضربهم ويؤذيهم * ألا ترى انه عليه الصلاة والسلام قال*والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * وقال لن تقدس أمة لا يؤخذ فيها للضعيف حقه من القوي غير متعتع * وقال الظلم ظلمات يوم القيامة * وقد أعرض بذاته الكريمة عن هذة الدنيا الدنية ولم يختر منها شيئاً لا لنفسه المقدسة ولا لعترته الزكية * وقال أرواحنا له الفداء * الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد* فكان لمحض الرحمة بخلق الله دالا على الله مؤيداً لأحكام الله في ملك الله بين خلق الله عنده القريب والغريب في الحق سواء اجتذب القلوب الى الاعتراف بالعبدية لبارئ البرية * ليتحقق كل عبد مثليته مع العبد الآخر فلا يطغى ولا يعلو على الخلق ولا يبغي على أحد * وهذا حكم النظم النوعي في الآدميين * اذ به تستريح قلوبهم وتطمئن أنفسهم ويهدأ روعهم وتنشرح صدورهم ولا بدع فالعاقل اذا عرف مقام العدل * سكن اليه واطمأن به واذا عرف مقام الرحمة والبشر * أمنت روحه به وانبسط قلبه له وانشرح صدره * وهذا هو الشرع الأنور لا غير * ولا تتم هذه الشؤن الا بالاعتراف بالعبدية لبارئ البرية جل علاه * أما قول الحبيب الأعظم * أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله * الحديث فهو لباب سر الشريعة المحمدية ومعنى انتظام الشؤن الآدمية * الذى يوقفها في الاقوال والافعال عند حد العبدية فيرى العبد قوة الفعل * في القطع والوصل لله تعالى ويطيع أمره ويخاف سؤاله ولا يظلم خلقه ولا يرى لنفسه على غيره مزية تستلزم تحقير أخيه في نوع الآدمية والمخلوقية * وشأن التوحيد شأن عظيم ودلائله

قائه في الانفس والآفاق قال تعالى في الكتاب العزيز ﴿ فمن يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ سر الواحدية قائم في كل طراز عيني أو غيبي لايجهله الا المحجوبون والجاهلون * النظر لا يلفت الى وجهتين والوجود لا يشتمل على قلبين * والهمة لاتجتمع على غايتين والداخل لا يدخل من بابين والناطقة لاتؤدي بلسانين * والعقل النير لا يقول بأثنين ﴿ لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾ كيف تدركه وهي مصنوعة حادثة وهو صانع قديم وقد ترى في ذاتك أيها الانسان الادلة القاهرة * والبراهين الظاهرة موجودة فيك غير مدركة ببصرك * منها قوة سمعك قوة بصرك قوة طعمك قوة لمسك قوة عقلك قوة خاطرك قوة مفكرتك قوة مخيلتك قوة حافظتك قوة عزمك قوة وهمك قوة خوفك قوة رجائك قوة شهوتك قوة ميلك قوة سأمك قوة انقباضك قوة انبساطك كل واحدة منها موجودة فيك مغيبة عن نظرك وهي مع موادها ومعانيها وأصولها وفروعها تقف عند باب العقل راجعة اليه * والعقل ليس له الا التسليم بالرجوع الى الله * اذ الحيرة حيرتان حيرة شك وهو من الجهل * وحيرة تعظيم وهو من العلم * ولذلك قالت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ سبحانك ما عرفناك حق معرفتك ﴾ فالحيرة عن تعظيم أدب الأنبياء عليهم السلام * ولهذا فالدين الاسلامي منع عن التفكر بذات الله * لان الفكر لا يصور الا ما يبلغه العقل وينتهي اليه الخيال * وكلاهما حادث وفي حجاب عن الذات * فاذن تصوير الفكر مكذوب * ولذا قيل كلما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك * وهذه قاعدة العمل بها ضربة لازب لا بد منه ولا غنى عنه * وذلك لكيلا يعبد المخلوق خياله المصور فيكفر والعياذ

بالله والله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وخيال المخلوق الحادث * لابد وان يندفع للتمثيل ليجمع الفكر على مشبه * والله قديم عظيم لاتحيط به الافكار ولا تدركه الابصار وهو اللطيف الخبير * ولما كانت القوى اللطيفة الموجودة في الانسان دليلاً يذكر لموجود حادث لايبصر ولا يكفيه الخيال ولا يحيط بكنهه البال أقامه القادر دليلا للمرء عليه واجتذب عنان فهمه به اليه * فقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون * فاذا عرف العاقل الحكيم هذا السر اطمأن قلبه كل الاطمئنان ووقف عقله عند هذا الميزان وألزمته حيرة التعظيم الأدب فاستحضر بسره هيبة الله وعظمته وقدرته وقوته وسلطانه وأماتته صنوف الاحياء وديمومية حكمه القاهر في الارض والسماء * وهنالك يعطى العبدية حقها ويقف مع المخلوقية في مرتبتها وهي العجز المحض المطلق * كما ان لله سبحانه وتعالى القدرة المحضة المطلقة ويعرف ذوقاً عدم التفاوت مع كل ذرة في صفة المخلوقية ويخضع منكسراً برداء الادب تحت سلطان الخالقية * ويتحقق ان رسوله الذي أرسله بالهدى ودين الحق ودلنا عليه ولفت أعنة قلوبنا اليه * هو رسول حق قوله حق كل ما جاء به صواب وحق يلزم العمل والاعتقاد به ويجب على كل عاقل يخشى الحساب وسوء المآب اتباعه والطاعة له فان أمره لم يعد الا لنفع النوع العام ولنجاة الانام ولحصول الامن والسلامة وسعادة الدارين للخاص والعام * ولم يكن في كل ذلك لنفسه المقدسة الطاهرة الكريمة حظ دنيوي لافي الحال ولا في الاستقبال ولا يكابر في ذلك الا الجاهل أو المعاند المتجاهل * وكريم النفس ان لم يتبع الحق * انقيادا لم ينكره عناداً قال سيدنا الامام الاعظم الرفاعي عطر الله مرقده ونفعنا بعلومه * شف بباصرة

علمك سيرة نبيك الامين وآله الطاهرين وأصحابه الهداة المرضيين فتحوا البلاد وصانوا العباد ومهدوا السبل وأفاضوا العدل ونظموا الامور وأحكموا حكمة سياسة الامم * وهم أزهد الناس بالدنيا واعراضها وأبعدهم عنها وعن أغراضها * سر بين الحائطين حائط العمل وحائط التسليم * ورح الى عالم جمعك بفرقك ولا تجمع بين حدثك وقدم ربك فانك ان فعلت ذلك انخرطت في الضالين اجمع بفرقك بين علمك وأمره بين عملك ورضاه وأنت حينئذ من الصالحين لاتنم على حلس حالك غير مترفع الى حال فوقه * فان من تساوى يوماه فهو مغبون * ماأطيب السير في الله الى الله انا لله وإنا اليه راجعون انتهى كلامه العالي * ومنه تعلم أيها اللبيب منهاج النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم وطريق وراثة الاعيان الكرام * فانهم خدموا الدين وبرزوا في منصات مظاهرهم نفعاً عاما للعالمين * وبيضوا بشرف العلم والعدل وجوه المسلمين وحذوا حذو الحبيب * المعظم المحترم القدم على القدم * الاترى مافي صحف مؤرخات الامم من سيرة سيدنا الصديق الاكبر وسيدنا الفاروق الاشهر * وذى النورين الاطهر * والمرتضى الازهر الانور * ومن جاء بعدهم من أعيان الائمة * ومن قام على منبر العلم والارشاد من اكابر الائمة فانهم زهدوا في الدنيا وانتدبوا لما يصلح الشأن في الاخرى هذا فيما يؤل الى انفسهم وأما فيما يؤل الى الخلق * فانهم حفظوا بيضة جامعة الامة وأعلوا مجدها * وأيدوا العدل في النوع الآدمي فأمن ضعاف الناس من الاقوياء ورتع الذئب والشاة سواء والحمد لله رب العالمين * ومن مواد العقل صحة النظر في كل مايرفع للبصيرة من طريق السمع والبصر * فان غلبة الميل تنتج أغلاطا كثيرة في المسموعات

والمشهودات أنشد العلامة الامام أحمد أبو سليمان بن محمد الخطابي البستي لنفسه وأحسن رحمه الله

فسامح ولا تستوف حقك كله   وابق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيء من الامر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وان غلبة الميل لها أربع طرق * فالطريق الأول من الشهوة والثاني من النخوة والثالث من الهمة والرابع من الوقت * فالشهوة تنتج عن النفس والنخوة عن شارقة من شوارق العزم تطيب لها النفس وليست منها ولا تغلب الا الجاهل الجافي والهمة عن النية * وقال قوم هي النية * والصحيح أنها فرع من النية يتسلط حكمها على الرأي فيستحقر العظيم ويستصغر الكبير الا اذا كانت همة عارف زاهد رفع همته الى الله ونزه أصلها أعنى النية عن طلب غير الله * فان تلك الهمة تستصغر الدنيا وتستحقر حطامها وأغراضها * بل تترفع حتى لا تلتفت الى غير الله * وأما الوقت فان تأثير طرازه يرفع الى الخاطر * فان كان امناً اطمأن له وطاب به فتدرجت طمأنينة الخاطر الى النفس فحركت كوامن اللطائف التي تمازجها * كالهوى والغرض والحرص وأمثالها من اللطائف السيئة * فقام من هذه الاصول الميل * فاذا شارف الرجل الحكيم سلط على معنى الميل المندمج في صحة النظر فزانه فيه ووافقه في منصة الانتقاد السليم ورفع رقائق مطوياته سانحة الى العقل وجرد العقل عن كل ما يحجبه من كثافة حال من الاحوال * فهناك يحكم العقل بالرأي الصالح * فالذي يراه خيراً أو عملاً صالحاً يرفعه الى خزانة القبول ويلقيه بيد حكمته الى لطيفة التدبر * ويكون ما يقتضيه الشأن * وان لم يره عملاً صالحا يطرحه *

وفي غلبة الميل خمس شوائب * الاولى العجلة والثانيـة الاندفاع الى بحبوحة الجهل والثالثة الزلق عن الحق الى الباطل والرابعة لوقوع بوهدة المكابرة والخامسة تعمد الكذب * وفي تعبير آخر تعمد الكذب للغلو ولصحة النظر * نبه الله تعالى فى الكتاب العزيز بنص ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ﴾ وقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لابن عمه الامير امام الامة سيدنا الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه يهلك فيك محب غال ومبغض غال * وقد نهانا الشارع الكريم عليه اكمل التسليم * عن أطرائه والغلو فيه * وقال لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش ذكر والدته الكريمة بصيغة التنكير لشدة تواضعه ولا لزام الامة بعدم الغلو فيـه أرواحنا لجنابه العالي الفداء والغلو له مراتب الأولى غلو المرء بنفسه * وهو أقبح ما يستقبح من الصفات الفرعونية الشيطانية * قال ابليس أنا خير منه وقال فرعون أنا ربكم الاعلى وكلاهما كذب في غلوه وغلو المرء بمن يحب ومنه قول العـاشق * وجه حبيبي كالقمر وغلو بعض الامم بأنبيائها وبعض الأمة المحمدية أيضاً بسيدنا علي ومنهم من أخذ به الغـلو بشيخه فافرط وغلو المرء فيما يبغضه * فقد ينحط عن طرفي الاعتدال في الاقوال والافعال * وهذا من الحمق الفاضح * فان المبغض اذا جاوز الحد بالذم مدح ولم يعلم *فان تجاوزه الحد يعلن بأنه كاذب وان مذمومه برئ * وبراءة المرء مدح له * فقد قال سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي الرواس طاب مرقده ونفعنا الله به

غلوك بالذم الفظيع لصين ... أفاد بأن الزور طبعك والكذبا
وان الذي للحقد طيشاً رميتـه ... كريم خصال قد حسدت بها الوهبا

تأود أخا العقل السليم اذا طغى لئيم فقد كرمت في هجر من سبا

ومن حكم صحة النظر ينبلج معنى لطيف وهو رد أقوال أهل السوء * وفيه سر من التبين الذي مر عليه الكلام * وهذا لحفظ حقوق النوع العام فتدبر سر هذه الشريعة الطاهرة واعمل بها يعلو شأنك * وقد قال سيدي ومولاي السيد محمد مهدي الصيادي الرواس طاب مرقده وعلا في أبراج القرب فرقده * متى أسقطت نفسك عن رتبة الغلو اجتذبتك يد العناية الى منصة العلو * ومن مواد العقل تجريد المخالقة عن الحقائق * فان مخالقة الناس بخلق حسن من أجل المواهب الربانية ومن أشرف المراتب العقلية * وقد روينا ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتحاذفون في أزقة المدينة بقشر البطيخ * واذا صارت الحقائق فهم أسود الرجال وفي الرجال كشأن الجبال * فالمحاذفة مخالقة والمخالقة انحطاط عن مرتبة الحقيقة الى المجاز * ومن لم يقدر عن سعة عقل على الانحطاط من مرتبة حقيقته الى رتبة مجازية تظهره لعين الجاهل بمنزلة دون منزلته الحقيقية * ومن لم يقدر على الارتقاء بطرفة العين الى مرتبة حقيقته من مرتبة مجازه أيضاً فليس بعاقل كامل وان كان له من العقل أوفر سهم * وان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما تهذبوا بتربيته المقدسة ونالوا بركة علمه وأنفاسه الطيبة الطاهره التي تقلب التراب تبراً * والسنبكة بدراً تحققوا بالمخالقة الكاملة وتمت لهم القدرة على الانحطاط من رتب حقائقهم الى المجازات * وفي أسرع من لمح البصر ثبتت لهم قدرة الصعود الى مراتب حقائقهم * وقد كان الفاروق الاعظم سيدنا عمر رضي الله عنه يدخل بيته ويمشي على يديه ورجليه ويعلو متن ظهره صغاره وعلا السبطان

الجليلان الحسن والحسين سلام الله ورضوانه عليهما ظهر جدهما الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم * فقال أحد السادة الاصحاب نعم الجمل جملكما * فأمره الحبيب ان يقول * ونعم العدلان أنتما وكل هذا وأمثاله انحطاط عن رتبة الحقيقة تواضعاً الى رتبة المجاز مع كمال القدرة الباهرة على الصعود الى رتبة الحقيقة * وهذا هو شأن المخالقة كما تقدم * وفي سر هذا الطرد والعكس معنى يشير لقدرة صاحبه على ادارة شؤون العالم صغاره وكباره أطفاله وشيوخه جهلائه وعلمائه دهاقنته وزهاده عبيده وساداته * ومن لم يسع بخلقه من هو دونه ومن هو في المرتبة فوقه * لا يكون قادراً على ادارة شأني الرجلين * ومتى انحط عن رتبة ادارة من هو دونه ومن هو فوقه * فقد انحط عن نفعهما وأخطأ طريق النفع العام الذي هو مدار الأحكام الشرعية ومنار أسرار الأوامر الالهية * فليتدبر وقد تنزل ساداتنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام * فرعوا الغنم لهذا السر * وجاء في الخبر مامن نبي الا رعاها أو استرعاها * وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه * اذا أراد الله أن يرفع عبده الى رتبة الكمال الجامع كلفه بأمر نفسه فان خدمها ورعاها وصانها من النزغ واجتذبها الى طريق الحق كلفه بأمر أهله وعياله * فاذا خدمهم وصانهم ودلهم على الله كلفه بأمر جيرانه ثم بأمر أهل بلدته وهلم جرا الى أن يكلف بخدمة أهل السموات والارض ويصير له حظ من اشراقات نور الحق * فيكون بركة نافعة لخلق الله كلهم * قلت وقد أورد ما يقارب هذا اللفظ يرويه عن الامام الرفاعي كثير من الاكابر منهم الوتري والجمال والحدادي والشعراني والمناوي قدس الله أرواحهم * والمعنى المقصود واحد فاذا تجرد الحكيم

العاقل للمخالقة عن منزلته وتنزل الى منزلة الطفل والعبد والخادم فأدى كل واحد منهم حق حاله وألزمه الحال في الحال لمخاطبة عظيم أو أمير أو للمنازعة مع كبير أو خطير * فقام امامه بما يليق لمنزلته الحقيقية بعلم وكمال وعزم فعال وكان كما قال الصاحب ابن عباد رحمه الله بسيدنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي عنه

اذا ما مقلتي رمدت شفائي | تراب مس نعل أبي تراب
هو البكاء في المحراب ليلاً | هو الضحاك في طعن الحراب

فهنالك يقدر على التصرف بعظائم الامور * بعون الله تعالى ويمكنه القيام * ببث النفع للنوع العام * ويصلح لوراثة ساداتنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن مواد العقل مدافعة مشكلات الامور بالحكمة * لكيلا تصدم بوقوعها * ودون هذه المرتبة من العقل * مرتبة من اذا صدمت المشكلات * حمانا الله * قام بكله لحل المشكل ومهد بحسن حكمته الحال * الذي يؤمن أحوال الامة * رأى حكيم شابين من طلاب العلم يختصمان فطال بينهما الجدال * وهو أعلم من بالحضرة بالعلوم النظرية والحكمه الشرعية * فسألهما عن سبب المخاصمة فقالا كل يدعي ان أباه أعقل من أب الآخر * فقال لاحدهما بم تثبت العقل لابيك فقال ان أبي اذا دهمت مشكلة حلها وجعلها بما وهبه الله اياه من العقل كانها لم تكن * قال بوركت ان أباك لعاقل فسأل الثاني فقال ان أبي يعمل لكيلا تقع المشكلة ولئلا يصير محتاجاً لحلها فحكم للثاني بالعقل الارجح * وذلك لتمكنه بقوة العقل البارق * والفهم الصادق على ايقاع المشاكل الحكميه امام المشكلة المادية فلا تبرز بعون الله للعيان * ولا تنسبح في وشي الكيان

وفي ذلك من الخدمة للنوع العام مافيه بلاغ وهذا مأخوذ من حكم الانبياء عليهم الصلاة والسلام * وآدابهم ودواء ذلك الصبر والتقوى فالتقوى خوف الله تعالى والعمل بما أمر * والصبر مكنة العزم بالثبات تجاه كل حادثة ولا يكون صبراً حتى يشتمل على الحكمة * التي تساعد الصابر على الصبر قال الله تعالى في الكتاب العزيز * ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ﴾ * وقد جاء الوعد الالهي وثبت ذلك بالشهود النظري والاستدلال العقلي ان من صبر على مقتضى شروط الصبر لابد وان يظفر باذن الله وقد قال الله تعالى * ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ * وفي كلام سيد البشر أرواحنا لجنابه العالي الفداء * مارزق العبد رزقاً أوسع عليه من الصبر وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام الصبر كنز من كنوز الجنة ومن كلام سيدنا الامام علي المرتضى كرم الله وجهه ورضي عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد والصبر مطية لاتكبو وقال سهل قدس الله روحه لامعين الا الله تعالى ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد الا التقوى ولا عمل الا الصبر وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي نور الله مرقده بالصبر تخمد نيران الفتن وتندفع غوائل النفوس وتستريح القلوب وترتاض العقول والى أعظم دعائم العقل الصبر ومن صبر ظفر ومن انتصر بالله انتصر الله له ومن توكل على الله كفاه انتهى كلامه المبارك فالصبر دعمة عظيمة من دعائم العقل يقف معها الفكر * فيرفع المعنى الذي وطدد الصبر الى العقل فيأخذ العقل ذلك المعنى ويطويه وينشره فعقل الحكيم الكامل يداري الصبر بالرأي

وترقب الفرصة الى ان تندفع الغصة * وعقل الجبل يندفع الى ترك الصبر بالعجلة والطيش * فيبقى الغصة ويذهب الفرصة ولي من قصيدة

حيلة العاقل في طيش الزمان   حلة الصبر الى وقت الاوان
وحكيم الوقت يخفي حكمة   سنة يبقى بها يوم زمان
ويرى عشرين عاماً أخرساً   وتراه ساعة طلق اللسان
فاذا ماغصة الوقت انقضت   وصل المقصود مطلوق العنان

وقد علمنا من هذه الممهدات ان الصبر من أعظم ماأمرنا به الشرع والشارع وقد اكرم الله الصابرين بالمعينة التي تشير لحصول الغلبة على المخالف بغير الحق * فقال تعالى ﴿ ان الله مع الصابرين ﴾ وقال سبحانه ﴿ أصبروا وصابروا ﴾ والمصابرة كمال الثبات تجاه الخصم * الى ان يقضي الله أمره وقد زلق قوم من أرباب الزيغ * والفهم السقيم فظنوا ان الثبات والاستقامة يصح استعمالها في كل حال حسن أو قبح * وانهما ينتجان غرضاً للثابت المستقيم * وهذا الزعم من قبح الفهم فان الاستقامة انما تكون على الامر المشروع المرضي ديناً وعقلاً والا فمعنى الخبر الشريف * لو بنى جبل على جبل لدك الباغي فيهما وقد قال تعالى في الكتاب العزيز ﴿ وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ﴾ والطريقة هي الشريعة وفسرها قوم من أهل القلوب * بطريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي تجمع بين العلم والعمل والحال وعلى هذا الوجه أيضاً فهي الشريعة وقد قال امامنا السيد أحمد الرفاعي * رضي الله عنه كل طريقة تخالف الشريعة فهي زندقة * وفى الخبر ليس شيء عند الله أقبح من الاقامة على ظلم * وان الاقامة على ظلم تحصل من ثورة في النفس * أمها الشهوة

أو حب الحطام أو قصد التعالي والتفوق * وكل ذلك مطوي في حب الدنيا رأس كل خطيئة ومن تمكنت محبة الدنيا من قلبه * أنسته غيرها فلا يتخطر الموت والحساب والجزاء والعقاب ولا يتشوف للنعيم * والثواب ولا يتذكر المآب ﴿ انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ وهذا شاهد عدل على ان المغلوب الذى لايذكر لم يكن من أولي الالباب الكاملة السليمة * ولذلك يطغى ويتجاوز على حقوق النوع الآدمي ويبخسهم اشياءهم ويبغي عليهم بوقته وفرصته ولو كان كامل العقل لصرف وقته وفرصته * في نفع الآدميين عفا عن مسيئهم وصفح عن مذنبهم وحنا على ضعيفهم وبذل المعروف للهيفهم ووقر كبيرهم ورحم صغيرهم وأعظم كريمهم وأرشد لئيمهم وانتفع بعالمهم وأقصر يد ظالمهم وجعل نفع النوع عضده الاقوى في كل آن وعمل بسر قول الله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ واذا أعيته الحيلة بجاهل لئيم أعرض عنه وحذر النوع منه * هذه صفات العاقل الحكيم الكامل ﴿ تنبيه ﴾ كم من رجل فقير حقير عاجز في حاله كليل الناطقة في مقاله ونفسه شريرة ذات جموح عن حدها في أخذها وردها يأبي النصيحة ويرى كل قبيحة له مليحة وتهزه ثائرة غروره بعجزه وحقارة عقله وطوره الى الانفة والعلو والترفع والسمو يزأر بهويته زأرة الاسد ويظلم بوهمه فكأنه على سرير أمر ونهي وهو على حاس من مسد * فمثل ذلك الحقير المغرور * مكروه عند الله تعالى مردود من خلقه * وفي الآثار أبغض الخلق الى الله فقير متكبر * وفي كلام سيدنا علي أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه * أبعد الخلق عن الحق غني بخيل وحاكم ظالم وفقير متكبر ورفيق يخون النعمة ويحقر

اللقمة وامرأة فاجرة وجار مسيئ وقريب لم يرع حق الرحم ورجل يكره لشره * وفي كلام الامام الرفاعي رضي الله عنه لا تلبس مرط الفقراء وتحمل نفس الجبابرة * ولا تصر كالمنخل يرمي الدقيق لغيره ويبقي النخالة له انتهى* وكم رأينا من رجل من أطراف الناس لا يملك قوته تلتي عليه النصيحة فيأباها ويعقد في قلبه عقدة المخالفة والمباينة للناصح ويرى لنفسه وجوداً فيصل بسوء خلقه ويقطع ويكتال ويذرع وفي فمه ماء العجز * فلا ينطق اذ هو كالضفدع فمثل ذلك المسكين لا ينتفع ولا ينفع وحاله مخالف لحكم النظم النوعي الذي هو قبول التناصح وصحة التوادد* وذلك من قصر العقل وسوء الفهم وعدم صحة النظر وسقم الاستدلال كما قال القائل

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وان حكم النظم النوعي ملزم بالتوادد والتناصح ورعاية حقوق الآداب التي عليها الناس أهمها الشرعية وبعدها المعنوية وبعدها العرفية * فمن خالف الشرع فهو مخذول * ومن ترفع بجهله عن الآداب المعنوية فهو ممكور* ومن خالف العرف فهو أحمق ناقص الشعور * وفي كلام أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه ورضى الله عنه * من لم يتطور بطور زمنه فدمه هدر* ومن حكميات سيدنا الامام الرفاعي طاب مرقده ولمع فرقده * الحكيم الشرعي يوافق الزمان ويلائم الاذهان ويرضى الرحمن * قلت ومن لم تكن له قدرة الجمع على هذه الوتيرة لهذه الجمل الكريمة فليس بحكيم شرعي * وقد تبين لنا من هذه التفصيلات اللطيفة ان ملايمة الاذهان وموافقة الزمان من الشرع وهي عين العقل الا ان الادب الديني يوجب على المرء التزام رضاء الله في الأعمال *

فلا يلايم الاذهان في مغضبات الله تعالى * واذا تصدر لعدم ملايمتها في الأعمال المغضبة لله راعاها فلم ينفرها وساسها بالحكمة * وحينئذ فيقال فيه انه الحكيم الشرعي العاقل فتدبر أيها اللبيب أسرار هذه الكلمات الوجيزة واعمل بها وأنت اذن انشاء الله من الفائزين ولا عدوان الا على الظالمين * قال سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس طيب الله مرقده فيما يناسب هذا المقام ويوضح معاني أسلوب هذا الكلام * ما هو في بابه لباب الحكمة وباب النعمة ونصه *

لايم الأذهان لا تذهب بها ... مذهب النفرة ان كنت حكيما

وارع حق الله واحفظ أمره ... لترى في حضرة القدس عظيما

واحترز من شر من أنت له ... قد بذلت الخير ان كان لئيما

وتثبت ان تسم معتدياً ... واجعلن نفعك للناس عميما

فحياة للفتى رغم العدى ... ان يمت في ثائر العج كريما

ومن مواد العقل سيرة المرء في معيشته السيرة الوسطى لا تبذير ولا تقتير * قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ﴾ وقال تعالى ﴿ لا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقال سبحانه ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ وكل هذا لا ينافي التنعم بنعمة الله من الحلال الطيب غير ان القاعدة تلزم العاقل المتشرع بالتزام الحالة الوسطى * والا فقد قال تعالى ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم ﴾ وقال جلت قدرته ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ وقال الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم * كلوا وتصدقوا والبسوا

في غير سرف ومخيله * وقال أرواحنا لجنابه العالي الفداء * الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر * وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه * عاملوا أهلكم ونساءكم وأولادكم ومواليكم بالرفق واللين * لا تغاظوا عليهم الا فيما يؤل الى دين الله * احفظوا لهم نظام مروآتهم * فان المروءة من الايمان سيروا بأهلكم في حكم معيشتكم السيرة الوسطى لاضيق مضجر ولا وشع مبطر * قفوا بين الحالين * نحن من الامة الوسط * اجمعوا أمركم في معاشكم عن ان تبسطوا الايادي فتنكف بالضيق * اجعلوا على مقياسكم وطاءكم وغطاءكم * اخشوشنوا فان النعم لا تدوم * خذوا عن الشره وحب الثوب جانباً استغنوا عن الكل بالجزء علموا أولادكم وعيالكم الأدب الديني اطبعوا فيهم لوازم المروءة قيدوا ألسنتهم الا عن كلام شريف قيدوا ذهابهم وإيابهم الا الى محضر شريف * انتهى كلامه العالي * وقد أفادنا هذا التمهيد المبارك لزوم المشي على السيرة الوسطى في المعيشة والأخذ بعض الأحيان بالأخشيشان * وفي ذلك أسرار كثيرة منها عدم البطر وعدم استجلاب أنظار الفقراء فتحزن قلوبهم وتنكسر خواطرهم * وفي الاخشيشان مشاركة للفقراء في حالهم ومنه يحصل التنبه لامرهم والحنو عليهم والرأفة بهم والاحسان اليهم * وفي التوسط حفظ نظام الاعتدال وما سقط معتدل على الغالب * وهذا الشأن من جلائل أسرار الشريعة الغراء والمحجة البيضاء فاعمل به أيها العاقل الحكيم تسعد * ومن مواد العقل مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار * وفي هذه الحكمة من الأسرار العجائب * وقد يقول الرجل للقرين السوء يوم القيمة كما جاء بنص الآية الكريمة ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ويقول الآخر كما في

محكم الكتاب العزيز ﴿ يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾ والقرين السوء هو الذي يطرئ المرء ويطيشه ويدله على احقار الحق ويميله الى الباطل ويزيغ به عن طريق الحق ويدفع به الى هدم منار المعتقدات الطاهرة * التي جاءت لنا عن سيد أهل الدنيا والآخرة * وفي الخبر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل * وفي كلام يعزى الى الامام الشافعي رضي الله عنه

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وفي كلام سيدنا ومولانا علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضي عنه

يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ما شاه

وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه

ولطيف قول بعضهم

من عاشر الاشراف عاش مشرفاً ومعاشر الانذال غير مشرف

ما تنظر الجلد الحقير مقبلاً بالثغر لما صار جار المصحف

وفي انتقاء الاخيار والتزام صحبتهم والتباعد عن الاشرار سر لطيف فان الاشرار اذا رأوا الاعراض من كل فرد من أفراد النوع والتباعد عنهم وعلموا ان ذلك لشرهم هانت عليهم أنفسهم وصغرت في أعينهم وحينئذ فرويداً رويداً يصلح ذلك التقريع نفوسهم ويطفيء ثائرة شرهم على الغالب وفي هذا من النفع للنوع العام ما لا يخفى على ذى لب والموفق الله * ومن مواد العقل الانتصار للحق أين كان ولكن يجب ان يكون الانتصار للحق بالحق * فان لب المغفل يزعم انه ينتصر للحق والحال ان انتصاره لا بد * وان يكون لاحد أربع أسباب الأول اتباعه ناعقا نعق بالباطل فظن انه

يقول حقاً ولم يتبين * كما جاء في كتاب الله بل ليس له استعداد التبين والتثبت فزلق لذلك * وعلى هذا فانتصاره لذلك الناعق أو اتباعه له محض باطل وبغي والسبب الثاني غرض في نفسه أخفاه وادعى في ظاهر حاله الانتصار للحق والثالث حب شهرة قام أساسها على طيش والرابع موافقة عظيم من رجال الدنيا أخذ بزمامه فتبعه * وفي هذا المقام يعجبني قول سيدنا الامام الحسن السبط رضي الله عنه

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأغرب من هذين من باع دينه ... لدنياه سواه ذاك لا شك أغرب

ومثل هذا يدخل فى عداد الذين صرح القرآن العظيم الشأن بأنهم أطاعوا كبراءهم فأضلوهم السبيل والعياذ بالله تعالى * والمناصرة والمعاونة فى غير الحق أذية محضة للنوع الآدمي تشمل منافعهم الحسية وأخلاقهم المعنوية وذلك مما ينافى حكم الاسلام * فقد جاء فى الخبر عن النبي الأبر الأطهر صلى الله عليه وسلم * المسلم من سلم الناس من يده ولسانه * وعن أنس رضي الله عنه * قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم * يا بني ان قدرت على ان تصبح وتمسي ليس فى قلبك غش لأحد فافعل * قلت ومن الغش الاعظم الانتصار للظالم على المظلوم وتحريف الحق وخذل المحق * وذلك مما يصادم العقل والشرع ويثقل على كل طبع * وان من انتصر للمبطل فقد شاركه بالخيانة للنوع الآدمي * وقد نهانا الكتاب العزيز * عن معاونة الخائنين بقوله تعالى ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ أي ظهيراً ومعيناً * فتدبر سر الشرع واعمل تهدي الى صراط مستقيم وأما الانتصار للمحق فهو ولا غرو انتصار للحق *

وفي نعت النبي صلى الله عليه وسلم . كان يدور مع الحق حيث دار . ولا تأخذه في الله لومة لائم . وفي دعائه لابن عمه سيدنا المرتضى علي امير المؤمنين كرم الله وجهه . اللهم ادر الحق مع علي حيث دار . يعني لا تقتع بينه وبين الحق ليكون في قوله وفعله مع الحق . ودعائه مستجاب وكلامه فصل الخطاب ولشأن الانتصار للمحق سر في الطباع النقية والقلوب المنصفة التقية * فان العبد اذا انتصر للمحق انهزت له الطباع هزة الرحم الطبيعي فقام له منها وثائق الميل والارتباط واستودع له في خزائنها المحبة وترقب الخير وحسن الصنيع ولا عبرة بطباع سيئة تنهمك بالباطل والغلبة فان أسباب ذلك حب النفس والانمزاج كل الانمزاج بالغرض وأهل تلك الطباع السيئة لاخلاق لهم بل هم عبيد هو أهم جنسيتهم وشهوات نفوسهم في انحطاط عظيم عن مرتبة الانسانية * الحقة التي فطرت عليها الذرات الآدمية * فانهم بعد أن خامرت انفسهم غلبة الهوى والانغماس بالاغراض والجموح الى التفوق عن النوع الآدمي * انحصرت انظارهم برؤية نفوسهم اولاً ثم بجنسيتهم * ولغتهم وعاداتهم وأرضهم وبلادهم ومثل هؤلاء القوم لا يصلحون لنفع النوع الادمى العام * بل هم مضرون للنوع اكثر ماينفعون * نعم * ان من حكم الطبع * وحقه حب الاهل والولد والجنس * واللغة * والبلد * ولكن * ذلك حب لا يفضي لتحقير أحد من الخلق * ولا لاذيته على اختلاف اللغات * والاجناس والبلاد * بل الحق يقضى على المرء * ان ينظر بنظر الحكمة الخالصة * الى جنسه وبلده * ولغته وعادته والى أجناس الامم * وبلادهم ولغاتهم * وعاداتهم * لا بنظر الاستحقار

والاستصغار * بل بنظر الانصاف والاعتبار * فان رأى بعد المعرفة الكاملة بتواريخ القوم * وماجرياتهم * وأحوالهم الحاضرة * وعاداتهم شيئاً حسناً * انتقاه وانتفع به * واعترف لهم * ولامهم بالفضل في ذلك الشيء الحسن وان رأى شيئاً قبيحاً * تحري سبب دخوله على الامة هل هو منهم بأصله أم دخيل فيهم من غيرهم فان كان دخيلا فيهم * عرفهم سره وقبحه لهم وفادهم الى مزايا قومهم * وان كان أصلياً فيهم دلهم بالحكمة والموعظة الحسنة على قبحه وأرشدهم الى ماهو الحسن الطيب * من العادات لا بطبع فظ ولا بقلب غليظ ولا بقول خشن وعلى العاقل الحكيم * أن يفرق بين العادات العملية كلبس المغربي * الاحرام والحجازي العمامة والبدوي الكوفية والصمادة * ومن تزيّ بزي الاعراب من أهل الحاضرة * كأهل العراق والشام وحلب على الغالب فهم يلبسون أيضاً الكوفية * والعبا والزبون وكلبس الجراكس على على رؤسهم القبع المعمول من جلد الخروف * والاكراد اللبادة والاتراك الطربوش وبعضهم قد يعقد عليهم شيئاً من المناديل * والافرنجى أنواع الثياب الضيقة القصيرة والقلنسوات المختلفة وأتراك ماوراء النهر والصينيين والطهرانيين الانواع من الملابس المعلومة * فالعاقل يفرق بين العادات في المأكولات والملبوسات وبين الاخلاق * والشيم فمنها ان البدوي يجلس على الارض * ويأكل على الارض ويلتف بعبا وثوب * وهمته في السماء فانه يصون الدخيل ولو بفداء نفسه ويكرم النزيل * ويجود بما لديه ولا يحلف بالله كاذبا ولا يخون الصديق * ولا يحقر اللقمة ولا يكفر النعمة ولا يقيم على ضيم * ماامكنه وله مثل هذه الخصال الخلقية الكريمة ماتطيب بسماعه * خواطر الكرام * وهذا

الشأن وان كان في الحاضرة موجوداً عند ذوى الاخلاق الحميدة والاصول الرفيعة غير ان وجود هذا الشأن في البادية أعم وأكثر * ولله در من قال

الموقدين بنجد نار بادية   لايحضرون وفقد العز في الحضر

فان اثبر بار بأهله ساعدهم المكان والزمان * فأتوا بشرائف الاخلاق دون منازع * وهذا القياس يشمل أهل البلدان والامصار * وسكان البوادي والقفار * وأهل جميع الديار على اختلاف الجهات والاقطار * فاذا فرق العاقل الحكيم بين المألوفات العادية العملية * والاخلاق القائمة في الذوات * حسن بحكم العقل والشرع الحسن وقبح القبيح * ووقف في الامرين على متن الحكمة قاصداً نفع النوع العام * وهذا مدار النظم الانساني * ومراتب الحب للنفس ثم للولد والوالد * والاهل والعيال والارحام * والقبيلة والجنس والوطن * كلها لاتدفع العاقل * الذي يعرف حق الله في النوع الآدمي * الى أذية أحد من الخلق * بل ولاتمنع عن التودد للناس * واسداء المعروف اليهم * اذ التودد الى الناس * رأس العقل بعد الايمان بالله * وفي الاثر الكريم أفضلكم أعقلكم والعاقل هو الذي يقدر على ايقاف النفس * عند حدها * في كل ما تميل اليه وتعول عليه * ومتى وقفت النفس * عند الحد المحدود * لها عقلا وشرعاً * أمن الناس غوائلها * ومتى سلمت من الغوائل * التفتت لاستجلاب الفضائل وأجل الفضائل * بعد الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله * وماجاء به الرسل عن الله تعالى * انما هو البر واسداء المعروف * للخلق على تفاوت طبقاتهم * وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه . لاتقل لا افعل البر الا لمستحقه . بل اصنع البر والمعروف لمن يستحق . ولمن لايستحق تعطى

منهما . أعنى البر والمعروف ماتستحق ومالاتستحق . وابشر في الخير الكريم اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخره . والامر كذلك . وان كل أخ لاينفع في الدنيالاينفع في الآخره . قلت وقد نقل الامام الشعراني والمناوي والامام ابن السراج الدمشقي والجمال الحدادي والوتري وخلايق . ان الامام الرفاعى طيب الله ثراه ونفعنا به . كان يقضى حوائج الايتام والارامل والعجائز والعميان من النصارى واليهود والصابئين ويحسن اليهم ويأخذ اليهم الحطب والماء ومايحتاجون اليه بنفسه ويتردد اليهم ويتفقد أحوالهم . وكانوا يسمونه أبا الايتام والمساكين واشدة حنوه عليهم اسلم منهم على يده خلق كثير * وكان يقول الشفقة على خلق الله تقرب العبد الى الله * ومتى صحت للمخلوق هذه المزايا الكريمة وقف مع الحق * فانتصر له غير باغ ولاعاد ولا متحيز الى فئة * ولا منضم الى عصبية * وانظر كلام سيد البشر صلى الله عليه وسلم لعن الله من قاتل على العصبية * ليس منا من قاتل على العصبية ومن هذا النص الكريم تعلم ان القتال الذي هو غاية الانتصار لايكون عند المتشرع الحكيم على العصبية بل يكون لاعلاء كلمة الحق * وهذا هو الغايه في معرفة حق النوع الآدمي ومزياته * والاهتمام بوقاية امره ومنافعه * فتعلم هذا وتكون حينئذ متشرعاً حكيماً وبراً كريما والتوفيق بيد الله * وما اقبح من انحطت طبيعته الآدميه بمجرد نظره الى جنسيته * او بلده او علو نفسه او لغته او ماله او منصبه * فاهان فرداً من افراد النوع الآدمي * سواء كان ذلك الفرد أبيض او اسود * مسلماً أو غير مسلم عربياً أو عجمياً وبغي عليه وحقر آدميته وأضره في منافعه أو استرقه في عمل من الاعمال * فانزله بذلك عن

شرف اطلاقه في مقام انسانيته * فان فاعل ذلك لا حظ له من مراتب الآدمية منحط عن المنزلة الكريمة البشرية منخرط في صف الوحشية البهيمية * وعلى العاقل ضربة لازب ان يترفع عن صفة البهم الى صفات كرام البشر أهل العقل والعلم منهم الذين يوفون الآدمية حقها ويعرفون مزيتها وهذا كله مندمج في الشرع الأنور مستقر في بحبوحة العقل فاعمل به ولك الفوز ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله * ومن مواد العقل القيام بجمع الكلمة والتبرء من السعي بالتفرقة * وفي هذين الشأنين سران لطيفان بهما قوام أمر الأمة وصلاح حالهم والامن التام من العدو ودوام العز وما خاب قوم وانهدم منار مجدهم الا بالتفرقة والخروج عن جمع الكلمة * قال تعالى في كتابه العزيز * ولا تفرقوا * وفي الخبر الشريف يد الله مع الجماعة * ومما يدل على شؤم التفرقة ما جاء في الحديث الصحيح ونصه يوشك ان تداعي عليكم الأمم كما تداعي الاكلة الى قصعتها قال قائل ومن قلة نحن يومئذ * قال بل أنتم كثيرون * ولكنكم غناء كغناء السيل * ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت * ومن حكم هذا الحديث الشريف عرفنا ان من أنفك عن السواد الأعظم * فقد تصدى لاذلال السواد الاجتماعي ولسلب المهابه منه * وكل ساع بتفرقة الكلمة فهو ذلك الرجل الذي يقاتل لحفظ نفع النوع ولصيانة مجده ولراحة كل فرد من أفراده * وفي الخبر عليكم بالسواد الاعظم * فان من شذ شذ في النار * وذلك لانه انفك عن السواد الاجتماعي ولا بد وان يقلده المفتونون فتتفرق الجامعة وتذل الهيئة المجتمعة وتذهب مهابتها والساعون باذلال الهيئة المجتمعة

وسلب مهابتها وتفرقة كلمتها وخزيها وذلها على أقسام الأول قسم يسعى في
الارض بالفساد فيغلط الاذهان ويبث الزور والبهتان ويفعل فعال الشيطان
والقسم الثاني قوم انفردوا لسلب نعمة الناس ولادخال المصائب عليهم
لا يرعون ذمة ولا يخشون سؤالا قلبت هممهم بالاغراض الى المطامع فعزائمهم
مصروفة لجمع الحطام يتقلبون مع الزيادة فتارة مع الغطاء وتارة مع الوسادة
والثالث قوم ارتدوا رداء التعالي والتفوق وطرحوا حلية العدل وناموا عن
منافع النوع وانتبهوا لاحقاره واذلاله * والرابع قوم وقفوا مع الجنس *
وما ميزوا بين اليوم وأمس فترفعوا على غير جنسهم * وكما أضروا بالناس
أضروا بانفسهم عاملوا الناس بالفظاظة والغلظة وقسوة الكلمة * فكل أولئك
آلة التفرقة وأعداء جمع الكلمة * وأخصام طمأنينة الامة تراهم على نعمها
هجوماً * يمتصون دماء الهيئة الاجتماعية ويوقعون فيها الضعف والتفرقة *
وشتات الآراء فيذل عزيزهم * ويصغر كبيرهم وفاعل ذلك من المفسدين
الذين هم أقبح من قطاع الطريق وأضر منهم على التحقيق * وحالهم وما هم
عليه انما هو مخالف لاحكام الكتاب ولأوامر النبي الاواب * ومباين لمنهاج أولي
الالباب * ومثل أولئك منفكون من حكم النظم الانساني لمباينة حالهم *
وما هم عليه لرابطة النظم المذكور الاصلية التي عليها مدار جمع شتات النوع
وتلك هي الارتباط العام * بالاتحاد على كلمة النفع العام ومثلهم كالوحوش المضرة
التي يجب على النوع الانساني وقاية للنوع * ازالة شرها وبهذا جاءتنا الانباء
وعلى ذلك أجمع العقلاء * ومن مواد العقل رياضة الخاطر ومداراته * بالنظر
الى مايستحسن وبسماع مايستحسن وبقول مايستحسن * وفعل مايستحسن

وذلك من ترويح القلوب فان رياضة الخاطر * تريح القلب وتفتح أقفال الفكر وتعطي الفؤاد مسرة والعين قرة * وقد جاء في الخبر روحوا القلوب تارة فتارة وورد النفس مطية * يعني يجب النظر اليها لتحمل صاحبها والا فانها تسقط عن رتبتها ولا تصلح لشيء بعد * ومتى كان العاقل الحكيم * ريض النظر ريض السماع حسن القول حسن الفعل * فقد استكمل الظرف كله واذا تدبرت حكم النظر الى مايستحسن عرفت انه لايصح لك النظر * الا لما يباح شرعاً ويطلق به العنان عقلاً * وكذلك لايصح سماع مالا يستحسن شرعاً وعقلاً ولا قوله ولا فعله * هذا وإن تلك الرقايق الاربع لباب نفع النوع العام من حيث سر الحكمة الارتباطية العمومية * فان المرء اذا منع النظر عن أن يطوف باعراض الناس وأموالهم أوان ينتقد أحوالهم ومنع السمع عن ان يتلقي ذم أحد منهم أو الخوض فيه * بوجه عرفي أو شرعي أو عقلي يتعلق بالسياسة أو الكياسة * ومنع اللسان عن الخوض به أو أسناد عيب من العيوب اليه * وحمل مالا يليق عليه وتغليط الاذهان بشأنه والاستفسار بلسان التجسس عن خفي شؤناته وجليها ومنع اليد عن نيله بسوء في ذاته أو ماله او فيما تحويه شفقة قلبه * فقد استوفي رعاية حق النوع الآدمي وخدم مصلحته والتزم منفعته * والعكس بالعكس والسؤال مترتب من قبل الله عن السمع والبصر واللسان وكسب اليد * جاء في ذلك الآيات البينات والاخبار النبويات وفي كلام الامام الرفاعي رضي الله عنه العين شرك المستعارات تصيد به القلب الغافل والسمع طريق الشواغل الى القلب واللسان ترجمان القلب وهيكل الوجود اسيره * فاحفظ قلبك من عينك وسمعك

ومتى صح قلبك صح لسانك وحسن فعلك ان في الجسد مضغة ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله * ألا وهي القلب * قلت والدواء المؤثر لحفظ السمع والبصر انما هو ذكر الموت * قال الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات * وقال أرواحنا لجنابه العظيم الفداء لوزيره الفاروق الجليل سيدنا عمر رضي الله عنه * كفى بالموت واعظاً يا عمر * فمتى ذكر المرء الموت سكنت ثائرة نفسه ووقف معها عند حدها ان كان من الموفقين * ومن كلام الامام الرفاعي عطر الله مرقده

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
ما دون دائرة الرحى حصن لمن يتحصن

ورياضة الخاطر والنظر والسمع واللسان * بما يستعذب ويستحسن * لا ينافي تنبه القلب * ان كان المرء كريم الشيم على الهمم * وكم لارباب العلوم الفياضه والعقول الشريفة والهمم الرفيعة من رياضة نظرية ولطافة سمعية وظرافة قولية مع عظيم شيمة فعلية على نسق قول القائل يذكر شأن بعض النساء العربيات

بيض غرائر ما أتهمن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

وقد أطلق جمع من الاكابر * الالسن بالالفاظ الظريفة التي تروح الخاطر وهم على غاية علو الجانب من الكمال والنزاهة وضخامة المنزلة والنباهة وذلك لرقة في الطبع تمنع عن الغلظة والجفاء * هذا الامام عبد القاهر أبو منصور بن طاهر التيمي البغدادي * ثم النيسابوري الشافعي الاصولي الفقيه

الكبير العلامة صاحب التصانيف الجليلة في الفنون العديدة وشيخ الجماعة بعد شيخه الامام أبي اسحاق الاسفرائيني * فانه مع زهده وفضله وتقواه وتبحره في علم الشريعة وانعقاد الكلمة على جلالة قدره كان يتلطف بالشعر * ويروح الخاطر بتحف التعبيرات الرائقة فيه * ومنه قوله

طلبت من الحبيب زكوة حسن على صغر من العمر البهي
فقال وهل على مثلي زكوة على قول العراقي الزكي
فقلت الشافعي لنا امام وقد فرض الزكاة على الصبي

ومثل هذا في كلام الاكابر كثير يحتاج الكلام عليه الى عدة مجلدات وبهذا كفاية * وأما رياضة السمع بسماع الحادين * فقد وقع لسيد أهل الكمال حبيب الله صلى الله عليه وسلم * فانه سمع الحداة وأمر أحدهم بالحدو * وكذلك اكابر السلف من غير نكير وقد عد الامام مالك والامام الشافعي رضي الله عنهما عدم السماع من غلظة الطبع * وأما الذي نهى الشرع والعقل عنه فهو السماع الذي يخل بالمروءة ولا يناسب الوقار والمجد ويباين آداب الشرع والعقل من كلام السفهاء أو ذكر محبوب معين أو معشوقة معروفة * وقد سمع الامام أبو حنيفة جاره الذي كان ينشد طول ليله * أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ويوم سجن الرجل شفع به الامام وأخرجه وقال له يا فلان ما أضعناك * وكذلك الامام أحمد ابن حنبل وجم غفير من الائمة * ولما كانت رياضة السمع بالانشاد المقبول المشتمل على مدائح أنبياء الله وأوليائه * وعلى المواعظ والحكم والغزل اللطيف الذي تسكن له النفس الكريمة ولا يمجه سمع أولي المجد * وأمثال ذلك من موجبات البشر وراحة الفكر والانشغال عن ذكر زيدأو

عبيد بنيية وفيه السلامة من تفقد عيوب الناس * وربما ذكر بالله وبأيام الله وربما هز المروءة لفعل خير كانقاذ ملهوف واسعاف محتاج * وله طرق الى الخاطر فيطمئن والى الفكرة الكليلة فتنشط والى العزم الخامل فينهض من خموله وكل ذلك من النفع الذي يعود للبشر يعرف ذلك أهل الاستدلال والنظر * ولله در سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي الرواس عطر الله مرقده فانه يقول

أقول لشخص غليظ المزاج　　أعاب السماع وعنه نهى
أما ترى العيس باحمالها　　تثور حين يغنونها

ومن رياضة السمع سماع كلام الحكماء والعلماء وأثار العقلاء واخبار الفضلاء * وأهم من كل ذلك سماع كلام الله وكلام أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وكلام وراثهم المتحققين بصحيح الذوق والوجدان والحكمة والعرفان وأدب ذلك السماع الاتعاظ بمواعظهم والاخذ بمناهجهم والعمل بأعمالهم والتحلي بأحوالهم * وبهذا تصح رياضة القول والفعل أيضاً * وكل هذا مما ينفع النوع العام ويبث في الامة روح الحكمة ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ ومن مواد العقل التغافل عن الاساءة لا الغفلة فيها * فان التغافل من الفطنة والغفلة من جمود لطيفة الرأي * والتغافل تغابي والغفلة غباوة ويقال

ليس الغبي بسيد في قومه　　لكن سيد قومه المتغابي

ويقضي العقل بالتغافل عن المسيء الى حد لا يتعدى المروءة والدين * فاذا مس المسيء الدين أو المروءة * فلا تغافل ولا تغابي عنه * ومع ذلك فان أمكن رجوعه عن غيه بالعفو فلا باس بالعفو عنه * فان العفو عن المسيء من

أخلاق الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام * ولا يقدر على العفو عن المسيء الا من غلب عقله على غيظه فاقتدر بقوة العقل على كظم الغيظ * وقد مدح الله أهل هـذه الخلة * فقال تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ وفي كلام الامام علي المرتضى كرم الله وجهـه خير الخـير العفو عند القدرة * وقال بعض الحكماء لبعض الأمراء وقد أخطأ معه

أسأت فكن اذا مولى كريماً قـد يعفو عن الوزر الكريم

وأسرار العفو كثيرة منها استخلاص المعفو عنه من وزر العناد والاصرار على السوء ومنها استجلاب المذنب * الى بحبوحة التوبة وقود المغموس بالاعمال التي تجر الى الشقاوة والعياذ بالله * الى الاعمال التي تأخذ بيد المرء الى السعادة باذن الله واحياء نفس من النوع بحياة الامن وجذبها الى الخلق الحسن * والطور الكريم والعمل الصالح * ودفع الشقاق وعدم بقاء الضغائن في النوع واخماد نار الاختلاف وجعل المعفوا عنه ملتحقاً * ماعاش بازار الحياء وغير ذلك من الاسرار التي يعرفها الحكيم * ولا يجهلها اللبيب الفهيم نعم هذا مشروط أعني العفو * بكونه في غير حدود الله وحقوق المخلوقين والا ففي الحدود والحقوق فلا عفو والجزاء في الحدود والحقوق * فيه بركة للنوع ونفع عام واقامة سلطان قاهر ينتصر المحق ويؤيد به الحق وأما فيما يؤول الى المرء من شؤنات ذاته وحقوقه * فالنص الاقوى ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ هذا هو كلام الله * والعمل به من تقوى الله وحسبنا الله ومن مواد العقل عدم تذكير المذنب بالذنب * ونسبة محاسن الاخلاق اليه فان

ذلك يخفض من ثورة نفسه * ويقوده ان ساعده استعداده الى محاسن الاخلاق وان الاستعداد الخلقي له سلطان حاكم * بل قاهر قائم على لطائف الوجود يطمس حكمه السيء التهذيب الحسن * الا أن كان الاستعداد السيء متحكما في الطور آخذاً به الى مرتبة العناد * فذلك لا يزيله الا الخوف المزعج وذلك ان الطور له مادة هبابة * لطيفة ترتفع الى الفكر تنسد عليه طريق الجولان الذي يتدبر به الشؤن حسنها وقبيحها فاذا سد طريق جولة الفكر انحدر طبع الطور مستقراً في القوة الجازمة * وهناك له طريقان طريق الى النفس وطريق الى القلب فالمغلوب والعياذ بالله ينحدر طور طبعه * ممزوجا كله بتلك الهبابة التي استفزته محمولاً بيد الهوى الى النفس فتمتزج به امتزاج الماء بالراح فيقف عند غاية نفسه * وبغية هواه مغلوباً لهما لا يعرف ماوراءهما فتبذل له النصيحة وكأنها غش يردها طور طبعه * رداً غليظاً ولا يقبل كلمة تنافي هواه وتخالف بغية نفسه وكانه عن كل نصيحة شريفة أصم لا يسمع ولا يعي ولذلك لا يصلحه الا الخوف المزعج * واذا عومل بالخوف المزعج ولم يصلحه ذلك فحينئذ ينظر الى حاله وحكم طور طبعه * فان كان مضراً للنوع فازالة ضرره بكل وجه واجبة من واجبات الشرع والعقل * وان كان ضرره لازماً قوبل بما يليق له من الجزاء الشرعي والعقلي واستعملت القوة * لحصر ضرره فيه لكيلا يسري سوء حاله للنوع فيؤذيهم ويسيء عصابتهم * ويهدم من منار سكونهم وصفاء حالهم ما يمكنه ان يهدمه * وذلك مخل بحكم النظم النوعي والنفع الآدمي فتدبروا الله ولي الهداية * ومن مواد العقل تمام السعي بافراغ نفس الامن في الخواطر وهذا يترتب على العلماء والعقلاء وساسة الناس وأمرائهم فان استقرار

الامن في الخواطر يصلح شؤنا كثيرة * أما الأسباب التي تقر الامن في الخواطر فمختلفة وأهمها ما كان من ساسة الناس ولا يتم لهم ذلك الا بأحكام أحكام العدل * فاذا أحكمت أحكام العدالة استقرت حقيقة الامن في الخواطر اذ بالعدل تقطع أيدي البغاة والطغاة وقطاع الطريق وأولي المطامع والمفاسد * وفي الامر الالهي ﴿ فاحكم بين الناس بالعدل ﴾ وفي الحديث الشريف عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة * وفي كلام سيدنا عمر الفاروق الجليل رضي الله عنه * عدلنا فأمنا فنمنا * وقال الامام الرفاعي عطر الله ثراه ونفعنا بعلومه * العدل ان لا تعدل عن الحق لسبب من الاسباب وقال من عدل عن الحق الي الباطل تبعاً لهوى نفسه فهو من الضلال بمكان قلت ولما كان العدل سبباً لنشر راية الامن في النوع الآدمي ووسيلة عظمى لنفخ روح الوفاق ولدفع ثوائر الخلاف * والشقاق أوجب الشرع والعقل الحكم به والعمل بمقتضاه في كل حال * بل وفي كل أمر ذي بال وان كلمة العقل تسقط على القلب لانها من أمر الله تعالى * ولذلك فهي من أي شخص صدرت وعلى يد أي أمرء وقعت * فانها تلقى طمأنينة في القلب وراحة في البال وهدأة في الخاطر * وان العدل أعظم جامع لشتات النوع وأجل عمل ينتظم به شأنه ويكمل به اجتماع أمره * ولا يصدر الا عن ذي نفس كريمة وهمة عالية وقلب سليم وصدر نقي عن دنس الغوائل وشيم جليلة * وهو حال النبيين والمرسلين عليهم صلوات رب العالمين * كتب الامام المستنجد بالله رحمه الله ونور قبره * لسيدنا الامام الرفاعي كتاباً يطلب فيه النصيحة منه رضي الله عنه فأجابه بجواب نقله العلامة الشيخ الجليل ابن حماد في روضة

الاعيان والوتري والتقي الواسطى والعز الفاروثي في كتبهم وخلايق وهو طويل سنلخص منه جملاً شريفة تناسب المبحث الذي نحن بصدده * قال نور الله ضريحه إياك وظلم العباد * واذا استفزك الشيطان ورام نزغك الى الظلم فسل نفسك ان لو كنت مسجوناً أو مظلوماً أو مقهوراً أو مكذوباً عليك * ما الذي تريده لنفسك من سلطانك وعامل الناس بما تريده لنفسك فانك ان فعلت ذلك وفيت العدل والآدمية حقهما * وفيه أيضاً أروقة الاعمال لا تعمر بأيدي الخيال ولا يصان حي الا بمادة جامعة تلصق القلوب ببعضها وتدفع النزاع والتفرقة * وما هي والله الا الشرع العادل والسنة المحمدية الصالحة * وفيه أيضاً جيش الملوك العدل وحراسهم أعمالهم ودفاتر أحوالهم عمالهم وأصحابهم * وهذه الدفاتر في أيدي العامة فأصلح دفتر أحوالك واحكم حراستك وأيد جيشك وعليك بأهل العقل والدين وإياك وأرباب القسوة والغدر والضلالة فهم أعداؤك وصن أمرك من ان تلعب به النساء والاحداث والذين لا نخوة لهم فانهم من دواعي الخراب والاضمحلال واذا أحببت فحكم الانصاف في عملك حتى لا تقدم غير محق أو ترفع بغير الحق * واذا كرهت فاذكر الله ونزه طبعك من خور الغدر * فان مكانك مكان الامن يدور صاحبه مع الحق لا مع الغرض واذا غضبت فاجنح للعفو فان أخطأت فيه خير من أن تخطيء في العقوبة واجعل بذلك ونوالك لاهل الدين والحكمة والغيرة للاسلام واختر منهم أشرفهم طبعاً واكبرهم عقلاً وأوجزهم رأياً ونطقاً وأثبتهم حجة وأعلمهم بالله ورسوله وساو الناس براً وفاجراً مؤمناً وكافراً في باب عدلك واحفظ وأهله واعمل عملاً تحسن به عاقبتك اذا لقيت ربك

والله ولي التوفيق * انتهى كلامه العالي بحروفه * ومنه يعلم اللبيب حكم العدل وحكمته وسره وحقيقته ويفهم مضمونه وانه سبب حياة النوع ومدار الامن العام * وعلى كل فرد ضربة لازب العدل فيمن تصله قدرته كأولاده وأهله وعياله وما ملكت يمينه يؤيد ذلك قول الحبيب الاعظم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته الحديث وأهم العدل ان يعدل الرجل في نفسه * فاذا تمكن من ذلك يمكنه ان يصل الى طبقات العدل ومراتبه والموفق الله * ومن مواد العقل الاعتدال في كل أمر * كالحب والبغض والسرف والترف والكبر والتواضع والمزاح والانقباض والا كل والشرب والاكتساء بالثياب الفاخرة أو التبذل بالثياب الرثة عن قصد وأمثال ذلك فان الحكمة مقتضاها التوسط في كل طرز وحال * وفي كلام الله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ وفي الحديث الشريف خير الامور أوساطها * وفي رواية أوسطها ولم يترفع حكيم قط عن مرتبة التوسط في حال من الاحوال وقد ترى العاقل اذا خاصم وقف في مقام الوسطية * فما فرط بشأن خصمه ولا أفرط وأبقى له مجالاً * ينبعث منه الي الخصام الشديد أو الى الوفاق الخالص والاحمق يندفع عن مرتبة الوسطية الى مالم تصله قدرته ولا يبلغه عقله * واذا أمن أعنى أمن وقت هذي كثيراً وتكلم كبيراً * فاذا خاصم سد على نفسه طريق خصامه وطريق وفاته فبقي في بحبوحة العجز في الحالين * وذلك لأنه انفك عن مرتبة الاعتدال وهي مرتبة الوسطية في جميع الشؤن ويقال

حب التناهي غلط   خير الامور الوسط

والتناهي في كل حال لم يكن نهج المرء الذي يربد الانتظام الخالص في النوع الآدمي * فان الادمية لا تناهي فيها * اذ التناهي في الشأن هو الترقي فيه الى غايته ولا تصل الآدمية غاية شيء مطلقاً فان الغايات فوق طاقة البشر * ومن طلب الغاية انقطع في البداية ولينظر فان الروح لما كانت من الامر فهي تطير تطلب غاية * ومع لطافتها المجردة هي تسير في عالمها من المهد الى اللحد ولم تبلغ غاية * فما بالك بالكثائف من الغايات التي تطلب من عزم البشر * المكتنف بالعجز المحض وهاهي اللطائف الكريمة واللطائف السيئة التي اندمجت في الانسان تقوم معه طارقة شؤناً كثيرة ولم تبلغ في مطارقها غاية قط هذا الخيال والتدبير والشهوة والحافظة والمدركة ثم الحرص والهوى والحقد والشره على جمع الحطام وأمثالها من اللطائف في النوعين وعلى الطريقين تخبط كلها في طلب الغايات وتقف دون طلبها * وان زعم زاعم انه بلغ غاية فهو واهم وحسن قول القائل

أروم من الغايات رمزاً أفكه ... وكم حسرات في نفوس كرام

ولما كان غاية همم العقول العقال * والوصول الى الغاية المطلقة محال الزم الشرع والعقل بالوقوف في كل الاحوال مع الاعتدال * واذا اعتدل المرؤ في سيره * سلم من صدمة العجز * وأمن من داهية الاغلاط السقيمة * التى تورث له المضرة * بل ربما تعدت مضرته * الى أفراد النوع * وعند التناهى يسقط المتطاول * ولذلك فالواجب على العاقل الحكيم حفظ شأن ذاته ووقاية نفع النوع العام * أيضاً بالوقوف في بحبوحة الاعتدال فى الاقوال والاحوال والافعال * وبذلك يكون وافق الشرع والعقل وخدم النوع وعمل

بالحكمة والله ولي التوفيق * ومن مواد العقل التواضع لاعن ذلة والبشر لاعن ملق * والوفاق لاعن نفاق والبذل لاعن اسراف * والوقوف في كل عمل عند حد يرتضيه العقل السليم * ولا يأباه الشرع الكريم فان التواضع الى مقام الذلة * ضعة ان لم يكن لغاية عالية تؤل الى الله والبشر الى مقام الملق يشير الى نقصان العقل * فانه اذا بلغ الملق نزع المهابة وطرح وقار الرجل وصيره فى أنظار أولي العقول العالية مستخفاً مستحقراً والوفاق اذا بلغ درجة النفاق أضر بالدين أولاً وبالدين ثانياً ولعله لم يبق لصاحبه في عين من يوافقه منزلة الرجلية ولا صفة الفضل فى نعوت الانسانيه والبذل اذا بلغ الاسراف يكون حمقاً * فان العاقل يجعل بنسبة الوجود الغطاء الوطاء والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ﴿ ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ والتجاوز فى كل عمل الحد الذي يرتضيه العقل السليم والشرع الكريم * انما هو خروج عن حيطة العقل انفكاك عن آداب الشرع * ومن لم يتقيد بالعقل ويقف مع الشرع الذي شرعه تعالى لعباده * فهو من الشاذين الموعودين فى الآخرة بالنار ومن الهالكين الذين هم فى الدنيا أخس الاشرار ومحل الخزي والعار * والتواضع وصف كريم ان كان لله فقد جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله * وان التواضع من أسباب المحبة والمودة بين النوع والترفع من أسباب النفرة والتقاطع * وما أحسن قول الشيخ ابراهيم الفاروثي الواسطي قدس سره يمدح الامام الرفاعي رضي الله عنه

تواضع كالنجم استبان لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
وكم واحد يسموا الي النجم صاعداً ... صعود دخان النار وهو وضيع

وفي كلام سيدنا الامام الرفاعي طيب الله مرقده العالي * التواضع سر فى الطباع الكريمة يرفع العبد عند الله * وعند الناس والكبر داء خسيس فترفع عنه أصحاب العقول العالية * وقال رضي الله عنه لا تزعم أي أخا الحجاب ان أخاك الانسان الآخر * عبدك بدريهماتك بقوتك بحظك بشأنك * بما أنت فيه من أمرك هو فوق ذلك * وانت دون ذلك كل من ساواك بتركيب الهيكل * وما تلك بالصورة والنسق فهو أخوك بجنسيتك شريكك بادميتك لا هو مملوكك ولا أنت مالكه وكل من خالفك بتركيبك * فهو ملحق بجنسه حقر أو عظم . وأنت ملحق بجنسك فاعرف حدك ولا تبق وحدك حاجتك ملزمة وحاكمة عليك . بالانضمام الى أبناء جنسك . والاستئناس بهم . وقاضية على طبعك بالادب . مع صنوف أجناس الاشياء . من ذوات أرواح وجمادات . بارزات . ومطويات علويات وسفليات . فاجمع رأيك على العلم بالله لتعلو في مرتبة آدميتك . بين جنسك . ولتزكو في نفسك ولا تكن قليل العبرة. خامل الهمة قصير النظر . انظر حكم ربك سر بروحك وسير همتك في ملكه سبحانه . اعتبر بمصنوعاته . قال تعالى ﴿ فاعتبروا ياأولى الابصار ﴾ انتهى كلامه العالي ومنه يعلم الحكيم العاقل ان المساواة فى التركيب والصورة تمنع اللبيب عن الترفع * والكبر على من ساواه وماثله فى صورته * وتركيبه ونوعه وجنسه وغير المساوي في التركيب * من ذي روح وجماد ومن اللطائف والكثائف فهو ملحق بجنسه ليس للانسان عليه * الامزية التكرمة المنصوصة بقوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ وتكرمة الشيء على الشيء * لا تقضي باحقاره واذلاله . بل تفيد ان له كرامة أيضاً . انما هي دون تلك وهذا سر

لطيف . ملزم بمعرفة حقوق الذرات المخلوقة كليها وجزئيها ومن جملة حقوق الذرات صيانة الاسرار التي ترتفع شعبها * لاضرار النوع بخاق أو حال أو فعل يتعلق بالمواد أو بالمعاني ومثال ذلك * اذا رأينا رجلاً متكبراً فقد عد الشرع الكريم الكبر عليه صدقة * ونص الخبر الشريف الكبر على المتكبر صدقه وذلك لان تحليه بحلية الكبر قام فيه لخسة طبعه * ولغفلته عن حقوق النوع الآدمي * ولجهله بسر التركيب البشري الذي تساوى فيه * مع كل فرد من أفراد النوع عظم أو حقر ولانغماسه * بالنظر الى المستعارات ووقوفه معها فاهمل بالمستعار الامر * الحق وجهل بالوقت العاجل السر العظيم الأجل فلذلك اذا قابله العاقل اللبيب بالكبر عليه فقد تصدق عليه بالنصيحة والارشاد الى طريق السداد * والكلمة الطيبة صدقة وهذا آداب أهل الكمال الذين تحققوا بآداب المرسلين * صلوات الله عليهم أجمعين فانهم اذا قابلوا المتكبر بالكبر قابلوه لا لحظ نفوسهم * ولا لزفرة انشعبت من كمين طائعهم * فقابلت الشيء بنوعه بل يقابلون ذلك المتكبر بصدمة الارشاذ * الناشيء عن النية الصالحه * التى هى عبارة عن ارادة الخير له * ليعود الى دائرة حكم نوعه الاصلى فيعرف حكم التساوي بالتركيب البشري * ويقطع النظر عن سكرة الغرور بالمستعار الوقتي * وهذا أدب عضيم من آداب الانبياء سلام الله عليهم * والتحقق فيه بلوغ غاية عظيمة * من غايات الكمال لا يمكن وصولها لمن يتحقق بهذا الشأن ولم يغش بغوغاء المستعارات الا المنسلخ عن الكمالات العقلية والشرعية * ورضي الله عن السيد أحمد الرفاعي * فانه يقول كل العقل التخلص من رؤية المستعارات * ولا بدع فالدنيا ظل زائل وخيال باطل وأخسر أهل الخسران

من انهمك قلبه بها فنسي حق الله في الآدميين وتزحزح عن هذا الطريق الأمين والحق المبين والعاقبة للمتقين * وقد سبق ذكر القاعدة التي تحفظ حق الآدمية وتلك ان يرضى الرجل لنفسه من الاعمال بالناس ما يرضاه منهم له * فاذا زان ذلك بميزان العقل السليم والطبع الكريم طبع نفسه في كل أحد فتراه لا يكلم أحداً الا بما يريد ان يخاطب به ولا يأخذ من أحد الا ما يريد أن يؤخذ منه * وهكذا شأنه في كل قول وعمل * وهنالك تراه حفظ نظام النوع وأداه حقه وأمن في كل طور من أطواره غوائل النفس والهوى * وهذا هو سر ماجاء في الخبر المرء مرآة أخيه أي ينطبع فيه فيرى فيه ما في نفسه * فان كان كاملاً حكيماً أدى حق الانطباع بكرم الطباع وصان شأن الآدمية في كل الخلال والاوضاع وان كان أحمق لئيماً هدم منار الآدمية وبنى على حقوقها فتكبر بغير حق وظلم وكفر النعم وخان ومان وخرج بسوء سيرته من نوع الانسان واندمج في البهم الخبيثة من الحيوان* وبذلك يعدو على النوع الآدمي ويضره بحاله وبطوره وخلاله * اذ المتكبر لا بد وان يكون حسوداً والحسود لا بد وان يكون كذاباً والكذاب منبع كل شر وأقل مايصدر عن الحسود الخيانة وطرح الامانة * وفي الخبر كل خلة يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب * والحكيم ينزه نفسه ويجتهد لتنزيه بني نوعه عن صحبة الخائن وولاء الكذاب ويتبرء من الميل اليهما في كل طريق * ومن كل باب الا ان تمكن من اصلاح شأنهما وقلب سوء حالهما الى حال حسن ومنهاج كريم وأخذ بهما الى صراط مستقيم * فان ذلك من عزم الامور * فتنبه أيها اللبيب لهذه الاساليب النيرة واعمل بها ان

كنت من أولي الالباب والى الله المآب * ومن مواد العقل التوفيق بين العلم والعمل * فان من يعلم ولا يعمل كمن يصلي بغير وضوء أو كمن يدخل البيت المظلم بلا ضوء * وقال العلامة شهاب الدين أحمد الرملي في الزبد

وكل من بعلمه لم يعملن معذب من قبل عابد الوثن

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

وقدرة التوفيق بين العلم والعمل مزية اختص بها أعاظم العقلاء وساسة الامم وأعظم أهل هذه المزية * انما هم الانبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام فانهم أحاطوا بالعلوم الدينية والدنيويه وساسوا الخلايق فوفقوا بين العلم والعمل واتوا بكل مزية جليلة واتصفوا بكل فضيلة ولورائهم الكرام من حالهم نصيب عظيم ولعظم صاحب هذه المزية * قال سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه * ما كل عالم اذا قلت له اعمل بما علمت أجابك فعله ولا كل منطبق اذا قلت له صرف أقوالك وافقك عقله * والجامع بين هذه المزايا * هو الرجل الذي تعقد عليه الخناصر وتبتهج به المحاضر * قلت والتوفيق بين العلم والعمل في الامرين الديني والدنيوي يحتاج الى عقل وسيع وعزم رفيع * واذا انحط العالم في مرتبة العقل درجة انحط في العلم درجة وعمل الرجل بنسبة عقله في طريقه الذي هو فيه من أحد الطريقين الديني أو الدنيوي فكلما علا العقل علا العمل والعكس بالعكس وكم من شاعر بليغ العباره يصف الخيل والليل والحرب والقتال وهو فاتر الهمة منحط العزم جبان تخيفه ظلاله فلا تزلق بشقشقة القائل قبل أن تنظر الى نتائج أعماله في دينه ودنياه * وقد يرى بعض الاخباب آخذاً من الدرهم والدينار حصة عظيمة وبعض

الحكماء العقلاء لا درهم عنده ولا دينار فيظن المغفل الذي لا يعرف حكم الوضع الالهي في طبائع المخلوقين ان الخب الذي اقتدر على جمع الدرهم هو العاقل والحكيم الذي لم يقدر على جمع الدراهم هو الغافل * والحال ان الامر لم يكن كذلك * بل الحكيم يمنعه علمه وعقله ودينه وما هو عليه من محبة النوع الآدمي وارادة الخير لهم تطبيقاً للقاعدة الحكمية وموافقة للأسرار الالهية التي أحكمها الله في النوع وكلف بها بحكم الطبع والعقل والشرع كل فرد من أفراد الانسان * بل وترفعه همته عن جمع الحطام بما يخدش الحياء ويمس بالمروءة ويضر بالدين وتنشعب منه أذية لفرد من أفراد الآدميين ويترقب الفرص التي توصل اليه لقمة غير مشوبة بشيء من هذه الشؤن المضرة بالكلية فان وجدها أكل * والا فحفظاً لنظام النوع الآدمي ورعاية لحقوقه وصيانة لآداب الدين والوجدانيات * اعتمد على الله وصبر وعلى كل حال فهذه الدنيا خيال يمضي وظلال ينقضي * وأما الخب فانه يتعمد اضرار الهيئة الاجتماعية الآدمية بكل حيلة ويتجرأ على أذاهم بكل وسيلة ليغنم درهماً أو ديناراً يوسع به على نفسه ويدخره في صندوقه حتى يسقط برمسه ويقدم على إيقاع الضيق في معيشة الهيئة المجتمعة ليكنز شيئاً سرقه من منافعهم العامة فيوسع معيشته * وان ذلك لزقوم وغسلين مسموم * ومثل هذا كالحشرات النحيفة المندمجة في الهواء تفعل في الوجود الآدمي فاعلية الاذية والاضرار الكلية * ولا ترى ولا يمكن هذه الفعال لرجل الا في احدى هيئتين اجتماعيتين * أما بهيئة اجتماعية أخذها التمدن للتجارة الوسيعة فاشتغل أفرادها بمكاسب الصناعة والاخذ والعطاء ففتح لارباب الخدعة * هذا الانهماك التجاري باب الحيلة لسلب الدراهم واكتسابها بطرز سياسي

وله أنواع معلومة لا يجهلها العاقلون يقوم بها فاعلها بوضع مطابق للاذهان العمومية فتخفى نكتة خدعته الا على فلاسفة الحكمة المتعمقين بالنظريات * وهم أقلاء وهؤلاء أعني أهل هذا الوصف من هذا الصنف ضررهم أقل بدرجات كثيرة من ضرر الصنف الذي سيأتي ذكره * وسبب ذلك ان عمامهم أسعفته الثروة التجارية وسترته المكاسب الصناعية التي قامت بمنفعة الهيئة الاجتماعية * ومع ذلك فقد دمجوا أعمالهم بالموافقة للافكار العمومية * فلم تثقل على طباع الصنف العام ولم تمس كل الناس بمنافعهم وان كانت هي أيضاً بنظر المحقق المدقق سلباً محضا من منافع النوع العام فتدبر فهذه الهيئة المجتمعة الأولى التي يمكن ان تعمل فيها هذه الاعمال من هكذا رجال * وأما الهيئة المجتمعة الثانية فتلك هيئه انحطت عن التمدن الكامل وأقعدتها البطالة والبطاءة عن اغتنام ثروة التجارة والصناعة * كما ينبغي فأحاط بها العجز في تجارتها وصناعتها وتمدنها الصناعي * والعلمي على الغالب ولا عبرة بأفراد قلائل من الهيئة تمدنوا وتاجروا وصنعوا وعلمو وعقلوا * فان العبرة تنحصر بالنوع الغالب من الهيئة المجتمعة * اذ الصوت المسموع هو الصوت العام والطرز المشهور هو أيضاً الطرز العام فاذا كانت الهيئة المجتمعة على هذا المنوال * تجرأ الخداعون قطاع الطريق على منافع الامة والسراقون أرباب الهمم الوضيعة والدسائس الفظيعة * فمدوا الايدى للاكتساب * بصائلة النهب * من مواد حياة الأمة * وأسباب صيانة أعراضها ودمائها * ووقاية ثغورها * وأصقاعها من أعدائها كانتهاب دراهم من أثمان أسلحة تؤل للجند أو سفائن بحرية * ترجع الى الجيشي البري والبحرى * فتدبر هذا الوزر العظيم *

والجرم الجسيم * ودقق أيها الفطن الحكيم * مايترتب على فاعل ذلك * والمتجرئ عليه فانه اختطف من أسلحة الجند بيد الخدعة ألوفاً من البنادق * وجعلها دراهم وخزنها في صندوقه وأبقى ألوفاً من مقاتلى الامة * الذين نصبوا صدورهم في طاعة الله تعالى ورسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم تحت راية خليفة الوقت نصره الله هدفاً لرمي العدو * صيانة لحريم الامة وأوطانها بلا سلاح واختطف عدة سفن * من السفن الحربية التي تقف بها عصائب الجند لحفظ الثغور ووقاية أعراض الهيئة المجتمعة وصون أوطانها وحمايتها من ذلة المغلوبية وخزي المحكومية فجعل تلك السفن دنانير وكنزها مخبأة لشهواته * وزينة بيته وسعة معيشته والترفع بها على أفراد الهيئة بل على أجل النوع من علماء وعقلاء وفضلاء وشرفاء ونجباء وأهل نجدة ووفاء وفاعل هذا عدو الهيئة الاجتماعية وعدو ملكها * وعدو نظامها الآدمى وعدو حكمها الشرعي ومنهجها العقلي * ومن هذا الصنف من يسمى برفع منار الاشرار الخوان * للنوع أسفال العروق معوجي العقول قليلي النخوة والمروءة الذين يتبعون كل ناعق * ويتسلطون للاعراض الدنية * على من يمكنهم التسلط عليه من أفراد الهيئة الاجتماعية * ولهم بمثل هذا الارتكاب فنون وقد وسع الشرع الشريف * بل والعقل أيضاً سلطة الملوك * وعلى الخاصة قدرة حضرة الخليفة المنصور المؤيد * خادم الشرع النبوي * حافظ نظامه المقدس المحمدي * في كل عصر وزمان أعزه الله وخذل أعداءه * فأعطاه الشرع المبارك * وأيد حكم الشرع * منار العقل وفوض له مايشاء بتعزير * مثل أولئك العمال الخوان * أولي البغي والعدوان * فان شاء سجنهم وان شاء نفاهم

وان شاء أخذ أموالهم * وجعلها في بيت المال * وان شاء أثقل التعزير * اكثر من ذلك وأشد * ولا مانع لذلك لا عقلا ولا شرعا * بل الشرع والعقل حفظا لمنافع الامة * وصيانة لراحة النوع العام * يأمران بذلك وبما هو من الجزاء فوق ذلك * فليتدبر فان الجزاء لكف يد المضرين بالنوع العام * من معنى التوفيق بين العلم والعمل * اذ العلم يقضي بكف أيديهم * خدمة لمنافع الهيئة الآدمية المجتمعة * والعمل يجب أن يوافق العلم فانه اذا لم يوافقه * وبقي العمل متروكا معطلا صار العلم كلاما لا فائدة فيه بل يكون ضرباً من الهذيان * ومن مقتضيات هذه الجملة عدم ارتكاب المخاطرات في العمل عند التوفيق فيه للعلم الا اذا كان الامر مما يؤول للنفع العام * فيجب على الحكيم ان يدرع بدرع العقل ويعمل بسديد آرائه الصائبة ويستحقر في هذا الطريق العظائم ويقال

ويكبر في عين الصغير صغارها　　　وتصغر في عين الكبير العظائم

ومن مواد العقل الخضوع لأولي الامر سيما صاحب السلطة الشرعية أعني الخليفة المعظم النائب عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم * فان بذلك انتظام أمر الأمة والوقوف مع حكمة الوضع الاصلي الذي يقوم به منار مجد النوع العام * ولهذه الجملة الشريفة دقائق مهمة تحتاج الى تفصيل لا بد منه ولا غنى عنه وذلك ان الخضوع والطاعه لأولي الأمر من أهم الاسباب لجمع كلمة الامة وصحة ربط المناسبات الشريفة بين النوع وان مقام الملوك مقام عظيم يجب احترامه عقلاً ولو كان الملك ملك لامة أخرى * ومن مذهب آخر وجنس آخر * فان العقل يلزم باحترامه وتعظيمه واجلال منزلته

رعاية للتجلي الالهي الذي تجلى الله به عليه فأفرده بهذه المزيه وأعطاه هذه المنزلة ومكنه من التفوق والترفع على كثير من بني نوعه وفضله في هذه الدنيا على كثير ممن خلق تفضيلا وفي حرمته ورعايته واعزاز منزلته معنى من معاني الارتباط النوعي الآدمي وصلة الرحم البشري وأما نظر بعض القاصرين الى الاختلافات المذهبية والمعتقدات الوجدانية بالنفرة المطلقة بلا حكمة * فهو من قصر العقل وضيق العلم * ولهذا النظر جوابان * الأول شرعى والثاني عقلي * أما الشرعى فكل ابن دين يخالف الرجل الآخر في دينه فانه يجهل عاقبة ذاته . وعاقبة صاحبه الآخر . عند الله وأنه لا يدري لمن يختم بخير . كما يرضي الله تعالى فاذا كان الأمر كذلك فعليه أن لا يتجرأ على احقار البدايات . التي بقيت مجهولة فيها النهايات . فكم غيرت الاقدار بداية عند النهاية . نسأل الله الرضا والحماية في البداية والغاية . وأما الجواب العقلى فالآدمي انسان صفته الانس . وأما التعصب والغلظة فمن الوحشة الوحشة تؤل الى الوحشية . فينبغي للعاقل ان يتحلى بحلية الانس ليتصف بصفته الاصلية الانسانية . ولينزه شرف ذاته عن الصفة الوحشية وعلى هذا فلا يستخف فرداً من أفراد الانسان من أي جنس ومذهب كان فضلاً عن عظماء الاجناس وملوكهم الذين تجلى الله عليهم بهذه الدار بقدرة منه وأظهرهم بمظهر الامر والنهي وبهذا كفاية * وقد قال سيدنا السيد محمد مهدي الصيادي قدس الله روحه

لا تر الناس يا بني صغاراً   كل أبناء آدم كبراء

نعم اذا رأينا من أحد أفراد الامم والملل السائرة أحقاراً لملتنا واهانة لمعتقداتنا

الوجدانية فنتدبر شأنه * فان كان عن جهل أرشدناه * وان كان عن خشونة طبع قامت بعناد طوري لا يستند لرأي مستحصل من علم أو ظن * هنالك نغلظ عليه ونعامله بما يليق لمثله من المتجرئين على النوع الآدمي واطلاقه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * وان كان عن غلط في علمه جادلناه بالتي هي أحسن حتى يفيء الى أمر الله * وهذه القاعدة يجب ان تكون جارية من طريق العقل في كل أمة تعتقد صحة ماهي عليه من الوجدانيات فليتدبر فان العلم الذي يرفع مناره العقل لا يأتي الا بخير * وبعد الجدل العقلي وتعين الحق * فالمحق لا ينحرف الى أغلاطه تبعاً لهواه * بل الذي ينحرف عن الحق مع الهوى ما هو الا مبطل كذاب * ومثل ذلك لا يعتبر له بنظر المحقق * لا قول ولا فعل * وفي مثله يقال (جمل يوم وفي الثاني نعامة) وقد شهد القرآن العظيم للنصارى بأنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا * أي بالله وبرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشهد بأمانة بعض أهل الكتاب بنص ﴿ ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ﴾ وكونه لم يشهد للكل بالامانة لا ينافي أن الكثير منهم على هذه المزية * بل في هذا دليل على سر الكتاب العزيز * فانه بين لنا حقيقة الوضع في النوع مطلقاً * ومبناه القائم بمعناه أن الناس فيهم من يؤتمن وهو أمين وفيهم من لا يؤتمن وهو خائن نعم لا يصح لنا الأمن المطلق الا لمن اتبع ديننا والمقصود من قولنا المطلق أي في الماديات والمعنويات الوجدانيات * لان المعتقد الوجداني حاكم ان لم يوقفه العقل بطمأنينة القلب الى الحق وتقوم فيه القوة القاهرة من لطيفة التذكر والتدبر والانصاف * فترى الرجل أميناً على الماديات *

ومتى وصل الى المعنويات * ولم تكن له قوة العلم الوسيع المزدان بالانصاف وتحري الحق وقف مع معتقده غير مكترث بالحق معه كان أو عليه * وحينئذ مثل ذلك المغلوب لا يؤتمن على الوجدانيات الا بعد معرفة وتجربة تنطبق على نص فرقاني أو خبر نبوي يوقف الرأي * اذ مع النص لا رأي عند المتشرع والله ولي الهداية ومن هذه التفصيلات علمنا أن النوع الانساني على اختلاف ما ذهب اليه من المعتقدات أقرب الناس منه مودة للمسلمين انما هم النصارى وأن النصارى بل وكل أهل الكتاب فيهم أولوا الامانة الذين ينزهون الذمة عن وصمة الخيانة * فان يؤتمن أحدهم على قنطار من الذهب يؤده لصاحبه * وأن الذين لا نأمنهم من النصارى والكتابيين * انما هم الذين ما وقفوا مع مذهبهم في كل أحكامه عملا بالوجدانيات المعتقده فيه أو المغلوب للوجدانيات بغير علم تام * وأهل هذا الوصف في كل أمة وملة غير مؤتمنين اذ العلم والمعتقد الوجداني الممزوج بالعلم التام في أحكام حكمة الوضع الالهي في النوع الآدمي يوقف صاحبه على اضرار الناس والتجاوز على حقوقهم المادية والمعنوية كل الايقاف * وبهذا المعنى نرى أن العاقل العالم الحكيم * يقول باكرام النوع سيما أرباب المظاهر الدنيوية العالية فيه انقياداً لحكم التجلي الالهى * سواء كان صاحب المظهر الدنيوي من جنسه ومذهبه أو لم يكن كما تقدم في صدر البحث فليعلم ففيه معنى لطيف * وأما الخضوع لصاحب السلطة الشرعية * أعني الخليفة القائم في مقام النيابة المحمدية في كل عصر وزمن فهو خضوع طاعة وانقياد مع صحيح الامتثال لاوامره والمحبة له والنصيحة في جميع الاقوال والافعال لجنابه والنصيحة معناها ارادة الخير لمن تبذل له

النصيحة وبث مدائحه والثناء عليه بخير والتوقي كل التوقي من اساءته والحط عليه والاجتناب من تنفير القلوب عنه والغيرة بجمع القلوب عليه وابذال الخدمة لمصالحه واستجلاب المنفعة له كل ذلك لان النفع له نفع يعود على الهيئة المجتمعة تحت لوائه والعكس والعياذ بالله بالعكس * ولا تخلو البشرية من قول أو فعل يستغرب ظاهره حسن أو غير حسن * فان صدر عن رب هذا المقام مثل ذلك من قول وفعل لا يفاجأ الا بالصفا وسلامة الخاطر وحسن الاسلوب بالنصيحة هذا من حسن النية التي لا تشاب بغرض كمين يصحب ذلك الحب له والاعظام لجانبه ورعاية شؤناته ومنافعه ليكون مطمئن الخاطر فلا يساء ولا يؤذي في حال من الاحوال * ومن صدمته نفسه فانحرف عن الحق فأساء النوع العام باساءة الامام وأضر بمنافعهم جهلا منه بأن الكافل لمنافع الكل * انما هو الامام النائب عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم * فهو مقيد بقيد طبعه * ومثل ذلك لا يلتفت اليه ولا يعول عليه * ويجب ان يمنع عن شقاشقه وأن تقصر يداه عن كل ما تصل اليه قوته من السعي بتفرقة الكلمة المجتمعة وشق العصى وانه لمن الغاوين الضالين * ولا عدوان الا على الظالمين ولا بدع فالمتجرئ على هذه الفعال القبيحة من كبير وصغير عامل أو تابع أعني من كل من تشمله سلطة الامام السلطة الرسمية التي تعرف الآن عند أهل الرسوم الزمانية والسلطة الشرعية المذهبية فلا بد من أن يكون عالماً أو جاهلاً * فان كان عالماً فشذوذه مخالف لأمر الله تعالى * ومباين لما نبه عليه الشارع صلى الله عليه وسلم والسعي بالتفرقة * وان كان صواباً فصاحبه مردود وعمله عند الله تعالي غير مقبول * بهذا جاءت الاحاديث الصحيحة التي لا نزاع فيها وتصدره لشق العصى يوجب عند الشرع

ازالته بالكلية حفظاً لنظام الكلمة المجتمعة * كما نبهت على ذلك الاخبار النبوية وصرحت بذلك الآيات العظيمة الفرقانية * قال تعالى في الكتاب العزيز ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم * من أتاكم وأمركم جميع على رجل يريد أن يشق عصاكم فاقتلوه * وقال أرواحنا لجنابه العالى الفداء اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي أجدع الحديث وجاء أيضاً * من خرج من السلطان شبراً فمات فميتته ميتة جاهلية * كل هذا وأمثاله يحكم حكماً بتاً بعدم التفرقة وينهى عن شق العصى * وليس لعالم مسلم المخالفة للنص كيفما تأول * فان التأول الذي يخالف النص ويباين منفعة النوع ويشين شأن الهيئة المجتمعة بتفرقة الكلمة وفك الرابطة الاجتماعية لا يكون الا عن غرض قائم في النفس * وان رأى له فيه مخرجاً غير أن حكمة الاجتماع وجذب القلوب الى الامام الخليفة النائب عن صاحب الشريعة أرواحنا له الفداء أهم من تأويلات المتأول كيف كانت * وفي هذا كفاية للمتبصرين * وان كان ذلك المرء جاهلاً فالجواب له قولنا عرفنا يا هذا طبقتك في الأمة وحقيقة مرتبتك وصنفك في الهيئة المجتمعة * فان كان من العمال أكابرهم أو وزرائهم * ثم اندفع لشق العصى رجعنا الى ترجمة حاله وماجرياته وآثاره الخيرية في النوع ومنافعه التي أبرزها للأمة وعكس ذلك * ودققنا النظر بتمكنه في دينه وقوة علمه وتبحره في علم السياسة وضخامة شأنه في مقام الرياسة فان رأيناه من أولى المجد الصميم والشأن الفخيم والمنهج المستقيم * ومن أرباب الطبقة العالية في الامة التي تسمع الصوت وتملأ العين * هنالك نطالبه أولا بحقوق الدين ثم بحقوق الجامعة الملية والمذهبية * أو بحقوق الوطنية ونعرفه

القواعد النظرية فمن تصدر لنصح امرئ بالعياط والشياط * وأخذ يملأ بالكلام البذيء الانحاء والاطراف بدعوى النصيحة * فهو غاش كذاب وانما المحب لامامه الصادق بخدمة خليفته الثابت القدم فى منهجه * المشتمل على ارادة الخير لملته ولعموم الهيئة المجتمعة التي يضمه معها لواء التابعية * فانه يحفظ الآداب المرعية لامامه ويبذل بالطريق المرضي خدمته * ونصحه وصدقه ضمن حيطه الشرع والعقل يغار لاجله يحفظ مجده في حضوره وغيبته فى قربه وبعده يستعين بمودته ومحبته على خدمة الهيئة المجتمعة تحت لوائه * على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وأجناسهم غيرة على جمع الكلمة ليتم شان الامة ويعلو مجدها وتحفظ حقوقها وتصان مهابتها * فان انقاد ذلك المنحرف الى هذا الطريق القويم والصراط المستقيم فقد صان أمانة عهده * ووقف فى الدين والعقل والحكمة عند حده * والا فهو مغرض يضمر غير مايظهر ولا يجيء منه شيء وان كان دون هذه الطبقة أعني من الذين لاشأن لهم في الهيئة الاجتماعية يعرف ولا سابقة تذكر ولم يكن قيامه بالشقاشق * الا انخراطاً في المزالق يريد لقمة يبتلعها وبغية يتوصل اليها * اتخذ لها طريق الزور والبهتان واعمل بها سلاح الظلم والعدوان اتباعاً للهوى والشيطان * يدعي ارادة الخير للملة وهو عدوها كلب غرضه وأسير وهدة مرضه * يتقلب فى الغايات كالحرباء حقيقته في الارض السفلى وأكاذيبه فى السماء العليا * ماهو في الملة ولا في الهيئه المجتمعة لافي النفير ولا فى العير * ولا هو من رعيلها لا الشاة ولا القطمير يخبط للكسرة المغموسة بالسم خبط عشواء في فاحمة ظلماء * ومثل ذلك الانسان لا يلتفت الى عياطه وتمويهاته * ولا يعبأ

به لا في حركاته ولا في سكناته والحق وراء كل هذه الاغاليط فيجب على الامة التنبه لحقائق مثل أولئك الذين قاموا آلة لاعداء الاوطان الاسلامية * أرباب المطامع والاغراض المنوية وهم بنظر المدقق العاقل * أضر من أولئك لانهم انحطوا عن شعائر الانسانية ومزقوا رداء الآداب الدينيه * ووقفوا خصوصاً للهيئة الاجتماعية وخرجوا من نسقها الاصلي بالكلية * ولم يكن على وجه الارض من عاقل ذي انصاف أجنبي الجنس والمذهب * يقف حق الوقوف على طور امرئ يهدم بشقشقة لسانه منار ملته * ويجاهر بسوء الآداب هيئة دولته وينشر الاكاذيب المصنوعة . والاخبار الموضوعة . ليخزي بها الامة التى يزعم انه منها . ويحرض عليها سماسرة الفتن . عوضاً عن أن يذب عنها . وان ينظر اليه ذلك الاجنبي بعد هذا بنظر الانسانية أو أن يرى فيه *طرز الآدمية وماهو عنده الا كلب اللقمه ينبح ملته لاجلها * ويبيع شرف مروءته بما يجلب لنفسه مصائب خزيها وذلها * وانه في نفس ذلك الاجنبي أقبح من الكلب ذاتاً وأحط منه وصفاً * فان الكلب يصبر على أذية أهله ولا يخون لهم عهداً ولا يهضم لهم وداً * فمن كان من المتشردة على هذا المنوال أفي خير يجيء منه وأي مزية صالحة تنقل عنه * وهو مضر للنوع الخاص فبالاحرى أن يكون مضراً للنوع العام وعلى أهل العرفان والانصاف السلام وهنا بحث رقيق في أسلوب دقيق الواحدية قائمة في كل مشهد حادث اشارة لسر واحدية القديم * فتدبر أيها اللبيب ان كلام القديم سبحانه لم يكن بصوت ولا حروف بل هو القاء من حضرة قدسه * الى قلب رسوله عليه وعلى جميع ساداتنا الانبياء السلام وانموذج هذا الكلام في خاطرك * فانه يسامرك ويخاطبك ويناجيك في نفسك وتفهم واعيتك ما ألقاه عليها خاطرك * وما

سامرها وخاطبها وناجاها به * فعلمنا ان محل التنزل القلب والمسامر المخاطب المناجي الخاطر ولم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه * فالمتنزل واحد والمنزل به واحد والمسامر واحد والواعي واحد والجامع واحد * ولم تنصرف لطيفة النظر الا الى مشهد واحد ولم يترجم اللسان الا بناطق واحد * وهلم جرا فلم تكن البارزات والمطويات مفردها ومركبها بعد أفراد أجزائها * راجعة الا الي الواحدية ولذلك فان الله تعالى لم يرسل لكل أمة الا نذيراً واحداً ليدل الامة عليه ويرجعهم من نية غفلتهم اليه * ولم يقم عن كل نبي تعدد أصحابه وأتباعه ولم يتصدر في منصة النيابة عنه الا واحد ويتسلسل هذا الامر في الأمة * لأن كلمة الأمر واحدة * واليوم فصاحب هذه المرتبة المتربع في دست هذه هذه النيابة * انما هو الخليفة المطاع والامام الواجب الاتباع حضرة سيدنا أمير المؤمنين السلطان الأعظم مولانا امام الزمان الغازي عبد الحميد خان نصره الملك الديان * فهو فى مقام الواحدية من منزلة النيابة فى مرتبة الخلافة صاحب العهد الملزم لكل مسلم بالطاعة له والامتثال لاوامره التي لا تحيد بعون الله عن أمر الله ولا تنفك ان شاء الله عن رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا تبين لنا هذا * فقد وجب علينا ان نصونه ونعينه ونذب عن حوزة مجده ومقامه وشرف ذاته الكريمة باليد واللسان بما تصل اليه غاية الامكان ولا نلتفت لمن يريد فك رابطة الهيئة الاجتماعية لاغراضه الدنية شاباً بحقده أو مستأجراً لخسته ولا ينفك عن قومه ويجهز بخزيهم وخذلهم الا نطفة الخنا ويقال

من خبثت فعلتها امه　　اول ما يغدر في جنسه
يستقبح الصدق وعن خسة　　يستحسن الكذب على نفسه

وكيف يصغى لدني يصادم الشرع والعقل ويقوم مع حقارته بثائرة الفساد والجهل وفي كتاب الله ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ﴾ ومن الغرائب أن أناسا من هؤلاء الشرذمة المنحطة تنادي باسم الدين • وليس لهم من الدين حتي ولا رسمه ولا من الاسلام ولا اسمه • يتحلون بحماية غير المسلمين ولا يتقيد أحدهم بفريضة من فرائض الدين وخبثه في الامة غير مجهول • ودناءة حاله متمدوحة فى طريقي المنقول والمعقول وبكل هذا يريد أن يغفل الامة • ببارد وساوس جهله الفاضح ليصدهم عن سبيل الله • وعن الاجتماع تحت لواء الخلافة العظمي التي أمرنا بالخضوع تحت لوائها شرع الله وألزم العقل لخدمة النفع العام التمسك بأذيال صاحبها • والانهماك بطاعته ليتم الله له أمر القدرة علي حفظ الثغور والبلاد وصيانة حقوق العباد اذ لا يتم ذلك الا بقلوب مجموعة وامة منقادة مطيعة * ومن انفك عن هذه الطريقة المثلى * فقد هدم منار الشرع والعقل واضر بصالح الامة وشتت منفعتها الملتئمة * ويجب على منعة الهيئة صده ورده لينقلب على ظهره مخذولاً محقوراً وليموت بغيظه مقهوراً * واذا رأينا من عمال الخليفة الاعظم والياً في قطر وسيع أو أميراً ساعده الوقت على بث الفساد فيما ينافى مصلحة الخلافة الكبرى * فعلينا أن ننبه المسلمين بلسان النصيحة لتنفر منه ولتبعد عنه • ولتكون قائمة بهمة الشرع والعقل أمامه هدماً لصومعة بغيه وعدوانه ولاخماد نار زوره وبهتانه كائناً من كان وقد رأى مثل ذلك فان بعض الناس فيما تقدم من الازمنة كان صغيراً فى قومه قذفت به الغربة الى جهة من الجهات * فاعمل الخدعة والحيلة واتخذ لاغراض مضمرة في نفسه كل وسيلة واغتنم الفرصة فسل سيف البغي على الخلافة والامة وألقي

على الهيئة المجتمعة كل ملمة فتبعه على رأيه من لم يعقل من الذين يزعمون التشرع وهم عن حكمة الشرع بمعزل * فلما بلغ من غرضه أشده سطا على اعوانه فأذلهم وقطع حبلهم * ولقد ورد (من اعان ظالماً سلط عليه) ولم يبرز منه فعل لم يكن لغاية تؤل الى منافع ذاته وتقوم بأغراضه وشهواته * وكان سعيه الداهية الكبرى على الامة الاسلامية وعلى مجد الشريعة الاحمديه * يعرف ذلك من يفرق بين الحق والباطل ولا ينحرف لاغراضه عن الحكمة الدينية والعقلية بعد وضوح الدلائل فاذا رأينا من سلك هذا الطريق المعوج اعتبرنا بحال من سبق من مثل من ذكرناه من أولي المقاصد الكبيرة الذاتيه ونزهنا عقول الامة وأديانها * عن أن يستخفها رجل يزعم الدهاء فيقودها كقطر الجمال برسن واحد * اذ لو لم يستخف فرعون قومه لما أطاعوه فلما أطاعه المستخفون ورجع الى قوله المفتونون * بغى عليهم وطغى وقال ملأ فيه لهم ﴿ انا ربكم الاعلى ﴾ والا فرجل واحد من متشردة الامم ماذا يصنع (وضعيفان يغلبان قوياً) ولا انقياد الا للخليفة الشرعي والحاكم العقلي الذي جمع الله به شتات الامة وأيد به كلمة الملة * وكل من سعى للتفرقه عنه وسلب قدرة قلت أو كثرت فى الشؤن منه فهو خارجي يقاتل ويهان * بل هو من احزاب الشيطان المضرة بمنفعة نوع الانسان * وهنا نبذة فيها نصح عام نمهد بين يديها مقدمة لا تتعداها الحقيقة والموفق الله * ربما يفهم المغرض الحق ويسد نوافذ فهمه غرضه والخطاب الحق لمن يمحو الغرض بالحق وبهذا كفاية وقد توسع قوم من ارباب الاغراض من غير المسلمين فأتهموا المسلمين بكلمات لا تقال وعثروا بالخوض فيهم عثرات لا تقال فمنهم من قال

انهم لا يقدرون على قول كلمة الحق * ومنهم من قال بل يكثرون الملق ويرتفعون بالمدح الى غاية لا يمكن الوصول اليها الا بالخيال * ومنهم من قال أقعدهم عن الصناعة والتجارة الدين * ومنهم من قال الزمهم الدين بالتعصب والجفا * ومنهم من نسبهم الى الوحشية والخلال الردية * والحال ان الدين الاسلامي بنى ركنه الاعظم على قول الحق * ولذلك فترى المسلم العالم العاقل يقول الحق * ولا تأخذه في الله لومة لائم * وأن الملق في الدين الاسلامي من الذنوب التي تجب التوبة عنها والتخلص منها والمدح الزائد عن الحد * نهانا معاشر المسلمين عنه الشرع الكريم وقد أمرنا الكتاب العزيز بالصناعة والتجارة ومنعنا عن التعصب الذي هو القتال للعصبية والتحزب لها وعن الوحشة والجفاء وأمرنا بالوفاق والوفاء والمودة والصفاء * وقد بسطنا الكلام على كل ذلك بهذا الكتاب المبارك فكذبت زعوم القوم * وان كان أهل الاذعان من سائر الأجناس والاديان * يعلمون أن الدين الاسلامي هو منبع مشارق المدنية ومطلع شمسها وبرج بوارقها وأطلس رقائقها * وقد أيد ذلك شؤن طبقات عظيمة مرت من المسلمين مصرت الامصار وعمرت الديار وأبقت كريم الآثار وجعلت ديجور الجهل بنور العلم أبلج من النهار * وعند هذه الايضاحات يمكن أن يقول قائل * حيث أن الدين ذلك والامر كذلك * فلم المسلمون اليوم لم تبرز كما هو المطلوب بوارق مدنيتهم وصنوف صناعتهم * فالجواب أن المسلمين أزعجهم تهاجم الامم وأقعدهم عن مقاصدهم المدنية * كف أيدي المتداعين عليهم من كل فج فوقفوا للدفاع عنهم بين الثج والعج لا يستقر لهم خاطر الا وتعكره من أهل الاغراض البوادر وكل العجب أن الامم التي تتداعي عليهم وتسوق الازعاجات الصعبة اليهم * هي

من الامم التي تزعم المدنية وتدعي خدمة حقوق الانسانية * وفي هذه الجملة شؤن مطوية تحتاج الى نشر طويل وتفصيل جزيل ولكيلا نخرج الآن عن حكم وضع كتابنا اكتفينا بالاشارة وكم في الاشارة من طويل عبارة * فهذا العذر الحقيقي ولو ترك القطا لنام ولا يعرف حقيقة عذر المعتذر الا هو أو من شاكله وصحت له معه في نفس الامر المقصود مماثلة * وأن حفظ النوع للنوع العام يقضي على أولئك الامم باعانة المسلمين وحفظ النظر اليهم وتخويلهم الراحة في ممالكهم وتحت ظل خليفتهم ليرتعوا في بحبوحة الامان من طوارق الحدثان وليقوموا بعد الامن بمصالحهم وبما فيه حصول الاسعاف لصالحهم * هذا اذا تحققوا بالمدنية التي هي فرع طويل من فروع الانسانية وبقي الكلام على أناس من جلدتنا ينتمون الى ديننا ويعتقدون ما نعتقد فيما يزعمون * قد نصبوا أنفسهم في منصب الاعتراض على الامة وتدرجوا لشق عصى الجامعة في الملة وتأنقوا بتزويق كلمات ما فيها من المعاني روح ولا لمتن أوهامها شروح * واني أراهم تأخذهم زفرة الاعتراض على كل من خدم الدين والمسلمين وأثنى ولو بحق صريح على عصابة المؤمنين وعلى امام الموحدين وخليفة النبي في العالمين لا تفتح آذانهم الا الى كلمة شر ولا تلتفت أبصارهم الا الى مشهد سوء * فهل بالله هؤلاء عند المنصف من المسلمين * وها نحن قد ذكرنا بلسان الحق وبناطقة الشرع والعقل ما يجمع شعث النوع الانساني من الآداب الشرعية والعقلية المعضدة بالنصوص النقلية والتوفيق بيد الله * أما ما يتعلق بالنصح العام من الكلام فهو مستفاض من نور الشريعة الغراء مؤيد بمواد العقل الابلج الضياء وهو ان الشرع والعقل ملزمان بالتعاون والتناصر والتوادد والسعي بنفع النوع الآدمي في كل حال من

الاحوال والناس على طبقات * فأولهم طبقة الحكام فهم بأجمعهم مكلفون بالعدل والرأفة والرحمة بالنوع وسياسة الامة كما يسوس الراعي غنمه والطبقة الثانية بعد أولي السلطان * انما هم العلماء والمشائخ والمرشدون وهم أيضاً كلهم مكلفون بنصح الامة وهدايتها للطريق الحسن الذي يطابق الشرع ويوافق العقل ولا يباين العدل بلسان الحكمة والموعظة الحسنة لينقاد كبيرهم وصغيرهم عبدهم وسيدهم للطاعة ولا يشذ عن الجماعة * والطبقة الثالثة انما هم أوساط الناس والتجار وأرباب الصناعات * فعليهم مع لزوم الطاعة الخالصة لأولى الامر ان يتجردوا عن غش الخلق وغبنهم في أخذهم وردهم * وان ينفعوا الناس وينتفعوا منهم ليصح التبادل في المنفعة * والطبقة الرابعة وهم السواد العام على اختلاف صنوفه ومذاهبه فكلهم كما هم مكلفون بالطاعة التامة لولي الامر مأمورون برعاية الآداب مع كبار النوع وصغاره مع صحيح التوادد والتحابب العرفي والوقوف على جادة الوفاق احترازاً من الخلاف والشقاق وتجاه هذه الطبقة الاربع طبقة على حدة وهي الطبقة الحارسة لصنوف النوع على طبقاته * وهم الجند والعساكر المنصورة فكلهم مكلفون ومأمورون بالطاعة لولي الامر * بحيث يكون كل منهم مرتبط القلب مقيد القالب بمحبة ولي الامر وخدمته غيوراً على خدمة منافع الامة من غير غلظة ولا فظاظة ولا عدوان لا باليد ولا باللسان ولا بالنظر ويجب أن يكون العسكري كثير الشفقة على افراد الامة بحيث لو رأى في بعض الازقة صبياً يتكفا احتاط به كما يحتاط بولده على انه من حراس الامة * فاذا خرج العسكري باللفظ أو بالحال والفعل عن آداب الطاعة وعن رعاية حقوق الجماعة * فهو مطرود بحكم العقل والشرع من صنف

الجند الذين هم خدمة النوع حراسة آلة الخلافه العظمى لحفظ حقوق كل فرد من أفراد الامة حصون الدفاع عن ثغور البلاد وعن طبقات العباد * وكل من أفراد هذه الطبقات المذكورة مفترض عليه الامر الذي ذكرناه * ومن شذ شذ في النار * ومن خرج عن الجماعة فقد انفك عن الطاعة وخالف حكم الدين وهدم منار النفع الذي هو سر الارتباط العام بين الآدميين * ويجب أيضاً على كل فرد من أفراد الأمم شرقيها وغربيها عظيمها وحقيرها غنيها وفقيرها حفظ نظام الانسانية ووقاية شأن الآدمية برفق فى النوع واهتمام بصالحه وقيام عند الحاجة بمصالحه * والا فاذا قال العربي لا يهمني التركي * وقال التركي لا يهمني العربي * وقال الشرقي لا أنتصر الا لنفع الشرقي * وقال الغربي لا أرى الا منافع الغربي * وكل جنس مال الى جنسه الخاص وأهان الجنس العام * فمتى اندفع كلهم عن الحق وتنزل كل عن درجة آدميته ولم يعرف ما تقتضيه مزيات بشريته فمتى أدعي المدنيه العرفية أو المدنية الشرعية مدع فانه يطالب بهذه الحقوق العامة كبيراً كان أو صغيراً وعليه أن يعمل بالرفق ما أمكنه * في الخبر الشريف (ان الله يحب الرفق في الامر كله) ولا يجوز له الاغلاظ الا على باغ عاد يضر بمنفعة النوع وحقوقه * ولا يصح حمل ذلك على فرد من الافراد بالتأويلات والاغراض المصنوعات والدسائس المرتبات المنبعثة عن ضغائن فى الخواطر وآمال فى النفوس كما هو دأب دجاجلة الاوهام الذين يدعون الكياسة والفراسة وغاية عقولهم دون الكناسة * ومتى صفت الخواطر وصحت بين النوع الآدمي العلائق وانمحقت آثار الاحقاد التي انتجتها الاطماع الدنيوية والمقاصد النفسية * فقد صح الارتباط بين النوع

على قاعدته مرضية وهذا غاية المدنية على الطريقتين الشرعية والزمانية فبالله عليك ياأخا العقل السليم والطبع الكريم * لاتزلق بوهم القول ولا بانحراف النظر ولا بغلبة الميل ولا بجاذبة الهوى ولا بصارعة الطبع * ولا بمخالفة الجنس والمذهب ولا بمباينة الطور والمشرب * وانظر في كتابنا هذا نظر منصف يرى الحق ويقف معه واعمل بمضمونه ان كنت من الصادقين * ونحن لانجتذب به أحداً فنكلفه الى العصمة وهي خاصة بالنبيين والمرسلين ولا نرفعه الي درجة الصديقين المحفوظين * بل نكلفه بحفظ الود لاخوانه الآدميين وبحسن الوفاق مع النوع فكل مشاقق كثير الغوائل لئيم * وكل من ينفرد عن ملاءمة النوع معجبا برأيه فهو خب ذميم وأهل الخلق الحسن وصفاء الود للنوع هم خاصة الخلق وعيون الامم فاندرج بسلكهم وكن من حزبهم تحي الحيوة الطيبة وتبقى الأثر الكريم بعد العين * ولا تخف على كتم حقك من المحرفين فان الله عدل يحيي الحق وينصر المحق وهو خير الناصرين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين



هذا تقريظ العالم الفاضل * الحسيب النسيب الكامل صاحب الفضيلة السيد محمد صالح أفندي المنير الحسيني الدمشقي المكرم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي أجرى الحكمة على لسان رسوله المعظم * وزاده بها تبجيلا وتكريماً وبين فضيلته بقوله تعالى ﴿ أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ فهي جوهر الخير كما جاء النص

الى ذلك مشيراً بقوله عز شأنه وهو أصدق قائل ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ فكان محمد الوجود * وأحمد كل موجود اللهم صل وسلم عليه أفضل صلاة وأشرف سلام * وعلى آله وأصحابه وأتباعه الخيرة البررة الكرام لاسيما عترته الذين ورثوا حكمته * فانهم صيت الحكم من أفواههم ولمع سنا برقها على جباههم * ولا بدع اذا جاء الشيء على أصله واقتبس الخير من أهله ولهذا تفجرت ينابيع أنهارها من أطراف بنان فرع هذه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء * ومعدن العلم ومجمع أبحر الفضائل من أذعنت لفضله الافاضل الجامع بين المنقول والمعقول * فخر العلماء صاحب السيادة والسماحة والكمالات * والرجاحة والمزايا الحميدة * والتآليف الجمة المفيدة مولانا المشهور فى كل قطر ونادي السيد السند محمد أبو الهدي أفندي الرفاعي الصيادي ومن جملتها هذا الكتاب المحيي الفضائل للامة فلهذا سماه كما هو الحق روح الحكمة ولا غرو اذا صدر من محمد عن محمد ومن أحمد عن أشرف محمد ولما رفعت نظري الى منظره البديع * رأيته أرهج من عقود الاجياد وأبهج من زهر الربيع فقلت لمعانيه * هل ثملت ثملي به من كؤس معانيه * وأنشدت على البديه مطرباً كل نبيه

بمحمد لمــــا أراد الهنا — احياءنا يهدي بمحض الرحمة
من بعد ماماتت قلوب بالهنا — ألهمت فضلاً بث روح الحكمة

كتبه خادم العلم الشريف
محمد صالح المنير الحسيني

وهذا تقريظ لكتاب روح الحكمة * من نظم العالم الكامل الشاعر الناثر

الهمام الفاضل ذى الفضيلة توفيق أفندي الايوبي الانصاري دام فضله آمين

يا إماماً قد تسامي شرفاً	في البرايا بزكيّ المنبت
فقت من ناواك بالمجد الذي	لايحاكى والفخار المثبت
والعلا قد شيدت أركانها	منك بالتقوى وصدق النية
ولها قد بان سر طامس	جهلت اعلامه من مدة
وهلال الشرك والشك اختفى	مذ تبدى منك شمس الفطنة
أنت يا بدر الدجى من أنجم	بسناهم يهتدي ذو الحيرة
سادة يستنزل الغيث بهم	وبهم تمحى دياجي الظلمة
سادة جيد العلا حسناً زها	من معاليهم بأبهى زينة
سادة مجداً علوا فوق السها	والثريا دونهم في الرفعة
جملة الحكمة عنهم أخذت	وهمو تفصيل تلك الجملة
وبكم يا عين أرباب النهى	بل ويا انسان تلك المقلة
طويت غر معاني فضلهم	فنشرتم عرف أزكى نفحة
فالمعالي أنتمو روح لها	وهي لولاكم كجسم ميت
والمعاني أنتمو أسرارها	حيث أبرزتم خفي النكتة
وفنون العلم أنتم قطبها	اذا رحاها بعلاكم دارت
أرثكم عن جدكم خير الورى	ثابت في الخلق والمعرفة
كم جبرتم في الورى صدع فؤا	د كليم من زمان معنت
وعفوتم عن مسيئ كاذب	قد أتى في شأنكم بالعنت
وبروح القدس أيدتم فأيدتمو	بالحق دين الفطرة

فطرة الله التي عن عارض الـ ـنسخ والتبديل فضلا جلت

فطرة الله التي جاءت بها الا انبياء وهي طريق الجنة

وهي من كل عذاب جنة للورى أنعم بها من جنة

نعم سفر منكمو جاء هدى وضياء للمنيب المخبت

منهل عذب هنيء سائغ شربة منه شفاء العلة

يفتح الاعين والابصار يجـ ـلو غشاوات بها قد سدت

قول حق يبطل السحر الذي في الورى ألقاه أهل الغفلة

فاتح أقفال أبواب الهدى من قلوب بالهوى قد صدت

كاشف الطلسم عن رمز العلا وهو معنى باءه والنقطة

لسبيل الله بالحكمة يد عو ويبدي أحسن الموعظة

ذو سناً يجلي به ليل الهوى ببيان وجدال بالتي

وبراهين عقول وضحت ونقول ثابتات صحت

أيد الذكر كما ايده ومحا بالنور ليل البدعة

وبه الحكمة فينا أحييت فلذا يدعى بروح الحكمة

كل فصل فيه فضل باهر وهو وصل بعلو الهمة

فابن رشد عاجز عن سورة مثله في النظم بل عن آية

وإبن سينا طوره يقصر عن طور سينا ذي العلوم الحقة

ليس من ينحت من أفكاره كالذي يسقي بكأس الحضرة

حضرة المختار نبراس السنا ومفيض النور أصل الرحمة

لاتوازي فلتة الفكر التى مالها نحو العلا من لفتة

نفثة الالهام في أفئدة خصها المولى بأسنى نعمة

صبغة الرحمن لايصحبها خلل كالصنعة المحدثة

قد حضرنا وشهدنا نسجه حينما ألبس أسني حلة

فرأينا عجباً اذ صاغه عقد در بيد لا شلت

وسمعنا رشداً اذ شنف السمع منه بثمين الحلية

فرأيناه بدت لحمته وسداه من فيوض القدرة

فعلى علم شهدنا وهدى اذ شهدنا ذاك بالباصرة

فابق واسلم للهدى والعلم والمجد والمعروف والمكرمة

وتسنم في المعالي رتبة قد سمت بالمجد أسنى ذروة

لاعدمنا من هداكم مظهراً مظهراً غامض سر الملة

لاحرمنا من سنا كم مطلعاً أشرقت منه زكا في الامة

لا رزئنا بأياد منكم بسطت وقت الرخا والشدة

لابرحتم في البرايا مرجعاً ماتثنت قضب في روضة

وبقيتم تزدهي الدنيا بكم ماتغنى طائر في روضة

الداعي

محمد توفيق الايوبي الانصاري

وهذا تقريظ العالم الفاضل ريحانة الافاضل الشيخ أحمد بن الامين الشنجيطي حفظه الله

رمي لنا بجوهر منظم بحر علوم ذو جدي منسجم

أبو الهدى الهادي لنهج أقوم مؤمن الخائف مغني المعدم

من انتمى لفرع عز أسنم	وفضله يغنيه عن مترجم
عاري العلا من وشيم المنمنم	ألبسه ثوب كمال أقدم
وكتبه تغنيك عن معلم	فاحفل بها تعلم بلا تلوم
لله ما أبداه روح الحكم	من كل علم ذي مفاد محكم
من دونه حسن المشوف المعلم	في عين كل بائس مذمم
روض به جادت غوادي الديم	فافتر عن ثغر أنيق المبسم
يفوح منه اليمن للمسلم	وفيه للمنكر عطر منشم
به ابتهاج كل مرء مسلم	يتبع الحق بلا تلعثم
هو الفتوحات لكل مبهم	من فيض بحر زاخر غطمطم
أغلق أقفال الضلال الأشأم	اذ هو للنجاة مثل السلم
منه يموت كل نذل مجرم	صاحب عرض بالخنا مكدم
ومنه يغبط اللبيب المنتمى	الى جناب السيد المقدم
وارث جده الرفاعي الاكرم	من سبق الاقطاب في التقدم
والهاشمي ذو الفخار المبرم	يقصر عن مداه كل عبشمي
لازال مرفوع الذرى في الامم	شامخ قدر ذا مقام أفخم

الفقير الى الله

أحمد بن الامين الشنجيطي

وهذا تقريظ الفاضل النبيه العالم الوجيه صاحب الفضيلة السيد الشيخ كمال الدين أفندي آل الصوفي الرفاعي دام ممدوح المساعي

شيخنا صدر صدور الأمة	وإمام القادة الأئمة

أوحد الدهر أبو الهدى الذي | يرتجي عند اشتداد الازمة
ناصر الشرع قوام الدين من | قد رقى للمجد أعلى قمة
أشرقت من وجهه شمس الهدى | فجلت عنا دياجي الظلمة
نائب الغوث الرفاعي الذي | ناب طه مرشداً للأمة
فاق أهل العصر فضلا وعلا | بفنون وعلوم جمة
وبجهل مذ عتت أفئدة | بث في الاكوان روح الحكمة
يا له سفراً بديعاً باهراً | من سناه لاح كشف الغمة
قد حوى مادق عن فهم الألى | من معان في المباني الضخمة
ولعمري جاب عن مظهر ذا الـ | ـدين والاسلام ليل الوصمة
فهو روض عند ليب العلم في | دوحه غنى بلطف النغمة
فحكى معنى الهدى عن رحمة | للورى فهو كتاب الرحمة
نسج مولانا امام الوقت شـ | ـيخ طريق القوم عالي الهمة
سيد ساد الورى في خلق | واياد كفواد عمت
أين منه قس أو قيس وسحـ | ـبان أو غيلانهم ذو الرمة
قل لمفتون مضى بجحده | خنت يا هذا زمام الذمة
فجزاه الله مولى الفضل عن | ملة الهادى بأوفى القسمة
وصلاة الله للمختار والحمـ | ـد لله متم النعمة

العبد الداعي
محمد كمال الدين الصوفي
الحسيني الرفاعي عفي عنه

وهذا تقريظ العالم الكامل الشيخ محمد افندي الآمدي دام موفقاً بالمدد السرمدي

الحمد لله الذي جعل من الامة في كل وقت من يجدد أمر هذا الدين وينفي عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ويبث * (روح الحكمة) في الانام * ويدعوهم الى دار السلام * والصلاة والسلام * على منبع الحكمه والهدى * وعلى آله واصحابه حماة الدين ونجوم الاهتدى * اما بعد فقد امتن الله على بتشنيف سمعى بكتاب رفع منار الهدى للمريد * واصبح مرشدا لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد (فاعلام حكمته بينات ان في ذلك لآيات) وحوى من نفائس العلوم اكسيراً (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيراً)واشرق نور العقل فيه لقوم يعقلون وبالنجم من مواد فلكه هم يهتدون ضمن عبارته البديع الانتظام * حور مقصورات فى الخيام وهو حبل الرشاد القويم ومن استمسك به فقد هدي الى صراط مستقيم * وهو كما سمي (روح الحكمة) أسأل الله أن يحيي به قلوب الامة فالى الاقتباس من أنوار حكمته فليتسابق المتسابقون

يا من يريد الاهتدا لحكمة قد ضلت
بنور عقل والهدى فاظفر بروح الحكمة

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * كيف لا وهو من آثار منبع العرفان ومجمع البيان ومفخر أهل الزمان تاج الافاضل ومن انتهت اليه المكارم والفضائل * وسارت بذكره الجميل الركبان وتعطرت بنشر فضله الجليل البلدان السيد الكبير والعلم الشهير الجليل * القدر العظيم المساعى سيدنا ومولانا السيد محمد أبي الهدى أفندي الصيادي الرفاعى * لازالت شموس

مشرقة ما طلع القمران واختلف الملوان آمين العبد الفقير الفاني محمد الآمدي السيواني الملكاني

وقال الفاضل الاديب الشاعر الناثر اللبيب عندليب محافل الكمال الجلي الحافظ عثمان أفندي الرفاعي المولوي الموصلي مقرظاً ومرتجلاً

يا إماماً للهدى خير أب ولطه خير نسل مثبت

أصبحت كتبك يهدى نورها كل عاص ومنيب مخبت

ثبتت فيك المعالي كلها والسوى في كله لم تثبت

مذ براك الحق جسماً للعلا للملا حررت روح الحكمة

فيك منظوم ارتجالي صغته من فؤاد للسوى لم يلفت

خالصاً عن غرض اذ جاءكم فيه انعاش فؤادي الميت

واشفع هذه الابيات بالابيات الآتيات * فقال مؤرخا ومرتجلاً أيضاً لا زال يعبق بمعانيه لأرباب الآداب روضاً

روح يطير لها الواعي بهمته في الطرس حلت فدلته لنعمته

ما كنت أعلم ان الروح يظرفها طرس وتدخل طوعا تحت عصمته

حتى رأيت كتابا من مطالعه يرى المطالع تثبيتاً لعزمته

سفر صغير به صحف الهدى كبرت والدين طالت لنا أعماد خيمته

أفادنا حكما قوت عزائمنا فيها المسرة للهادي وأمته

من نسل أحمد قد وافت فلا عجب اذ الرسول لربي عين رحمته

خذ الهدى عن أبيه واكتسب شرفاً فروح حكمته قامت بهمته

لنا الحياة بها لاحت مؤرخة أبو الهدى أنجعتنا روح حكمته

سنه ١٣٢٦